

إسعاف طالبي رضا الخلاق
ببيان مكارم الأخلاق

للعلامة الداعي إلى الله
الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

إسعاف طالبي رضا الخلاق
ببيان مكارم الأخلاق

إسعاف طالبي رضا الخلاق

ببيان مكارم الأخلاق

للعلامة الداعي إلى الله

الحبيب عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ

ابن الشيخ أبي بكر بن سالم





إسعاف طالبي رضا الخلاق

ببيان مكارم الأخلاق

حلقات تلفزيونية سجلها العلامة الحبيب عمر بن محمد بن حفيظ للقناة الفضائية اليمنية في شهر شعبان ١٤٢٢هـ وضح من خلالها مفهوم الأخلاق ومنزلتها في الشريعة، وحاجة المسلم إلى الاتصاف بها ليكسب رضا مولاه والسعادة في الدنيا والآخرة.

اعتنى بها وخرَّج أحاديثها

مجموعة من طلاب دار المصطفى

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي يهيء في النفوسِ الرغبةَ في سلوكِ سبيلِ تزكيتِها، ببارقةِ فضلٍ مِن توفيقه يمكِّنُها به من إصلاحِ وتقويم صفاتها، ورتبَ على ذلك الفلاحَ والفوز، فقال جل جلاله: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ [الشمس:٩-١٠] وقال تبارك وتعالى ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ۝١٤ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴾ [الأعلى:١٤-١٥].

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريكَ له.. وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله، بُعثَ مُتمِّمًا لمكارمِ الأخلاق، وداعيًا إلى الإله الخلاَّق، أنزل عليه في محكم كتابه ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ [آل عمران:١٥٩]، اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك المصطفى سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابه، ومن سار في سبيله واهتدى بهديه إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

أما بعد :- فهذه دروسٌ قد سُجِّلت في حلقاتٍ للفضائية اليمنية تتعلقُ بالأخلاق، إكتَتبها بعضُ إخواننا من الراغبين الصادقين في إرادةِ النفعِ والانتفاعِ.. وهاهُم يقدِّمونها تذكرةً وتبصرةً ووسيلةً وسببًا لحِيازةِ الخيرِ العظيم والفضلِ الجسيم. بابتعاثِ الرغَبة في انتهاجِ النهج القويم والصراط المستقيم.

وما أكثر ما مُلأت الكتبُ بين المسلمين بغير ما ينفع، وبما هو أقل شأنًا من هذا الموضوع الراقي الأرفع. فجديرٌ بالمسلمِ أن يكون له التفاتٌ إلى هذه الدواعي التي تدعوه إلى العلو، والبواعثِ التي تبعثُه على حسنِ طلبِ المجدِ والسمو.·. وبالله التوفيق.

نسأل الحقَّ تبارك وتعالى أن ينفعَ بها المتكلمَ والسامع، والكاتبَ والقارئ المطالع، وأن يجعلَ لها بين أهلِ هذه الأمةِ نفعًا عظيمًا، ويجعلَ فيها سببًا لإحياءِ الخُلُقِ الكريم والمنهج القويم.. وعليه توكَّلنا وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اهدنا لأحسنِ الأعمالِ والأخلاقِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنت، واصرف عنَّا سيئها لا يصرف عنا سيئها إلا أنت برحمتك يا أرحم الراحمين.

عمر بن محمد بن سالم بن حفيظ
ابن الشيخ أبي بكر بن سالم

التعريف بالأخلاق

الحمد لله رب العالمين.. الذي خلقَ وفطَر، ودبَّر.وقـدَّر ، ربُّنـا الأعـلى ، الـذي خلَقَ فسوَّى، والذي قـدَّر فهـدى. نـشهدُ أنـهُ الله البـارئ الفـاطر، عـالمُ البـاطنِ والظاهر . ونشهدُ أن سيَّدَنا ونبيَّنـا محمـدًا عبـدُه ورسـوله ، بُعِـثَ ليـتمِّم مكـارمَ الأخلاق، وكان الحبيبَ لمولانا الخلاَّق، اللهم أدم صلواتِك على مَن عظَّمتَ خُلُقَه في كتابِك، سيدِ المرسلين، وخاتمِ النبيـين، محمـدٍ وعـلى آلـهِ الأطهـار، وأصـحابه الأخيار، ومن على مَنهجِهِم سار.. وخَلِّقنا اللهم بأخلاقِه، وأدِّبنا بآدابه، برحمتـك يا أرحمَ الراحمين.

أما بعد: فإنَّ مِن أعلى ما يجرِي فيه الحديثُ بين أهلِ هذه الملة، ومـن أعظـمِ مـا يُدار حولَهُ الفكرُ والنظرُ والاستبـصارُ المقـصودُ مـن الخَلـقِ والرسـالة، موضـوع الأخلاق التي يجب أن يتَّصِفَ بها الذي آمنَ بالله ورسولِه، والذي أسلمَ وجهَهُ لله من كل مَن شَهِدَ شهادةَ الحق.. **أخلاق الإسلام ونقصد بها الـصفات التـي نَـدَب الإسلامُ إليها ودعا كلَّ مسلمٍ إلى التَحَلِّي والاتصاف بها.**

حسن الخلق:

الأخلاقُ صفاتٌ وشمائلُ تُمثِّل للإنسانِ صورةً باطنيَّةً معنويةً روحانيـة، عليهـا يُحشَرُ يومَ القيامةِ عندَ ظهورِ الحقائق، كما أنَّ للإنسان مقابـلَ الأخـلاق التـي هـي جمع خُلُقٍ خَلْقٌ، والخَلْق ينصرفُ أولاً في الذهن إلى الصورة الجسمانية، فهذا الخَلْقُ

للجسم إذا انتظم وحَسُنَ سَمِّيَ حُسْن خَلْق، وهو أن تكونَ الصورةُ الظاهرةُ حسنةً .. كذلك الصورةُ الباطنةُ لهذا الإنسان إذا انتظمَت من جميلِ الصفاتِ ومحاسنِ الشمائلِ وكريمِ الأخلاقِ صارت صورتُه الباطنةُ حسنة وسمِّي ذلك حسن خُلُق، وتلك الصورةُ الباطنةُ هي التي إليها نظَرُ الحقِّ جل جلاله وهي التي يُحشَر الإنسانُ عليها يومَ القيامة.

فتبيَّن بهذا أن الصورةَ الجسمانيةَ لا تساوي في المنزلةِ ولا في المكانةِ الصورةَ الباطنةَ المعنوية لهذا الإنسان، فوجبَ على الإنسانِ العاقلِ المؤمنِ أن يَصرِفَ عنايتَه لتقويمِ أخلاقِه ولاتِّصافِهِ بما أحبَّ اللهُ منه أن يتَّصِفَ به، ويأخُذَ من البعثةِ النبويةِ مقصودَها حيثُ يقول نبي الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**إنما بُعثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاق**))(1).

وانبعاثُ الرغبةِ في الاتِّصافِ بالخُلُقِ الحسنِ عند الإنسانِ يوصِلُهُ إلى تتميم مكارمِ الأخلاقِ فيه، بمعنى أنَّ الإنسانَ قد يُطبَعُ على التخَلُّقِ بالأخلاقِ غير الطيبةِ وغير المحمودة فهل يمكن الخلاصُ منها أو لا يُمكن؟ وقد يفقدُ كثيرًا من الصفات الحسنة الجيدة.

---

(1) رواه مالك وأحمد والبخاري في الأدب المفرد (الحديث: ٢٧٣) والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة.

والبشر والمكلفون ممن وُجِّهَت إليهم الرسالةُ لديهم قابليةٌ لأن تَتَحسنَ هذه الأخلاقُ فيهم فتَرتَقِيَ مراتِبُهم.

وإنما الأممُ الأخلاقُ ما بقيتْ فإنْ همُ ذهبتْ أخلاقُهمْ ذهبوا

نسأل الله أن يوقعَ نورَ هذه الأخلاقِ في قلبِ كلِّ قارئٍ لها، ويفتحَ له بابًا من التوفيق، حتى يتَّصفَ بتلك الأوصاف، ويعتليَ في ذلك المنار، الذي بُعِث به النبي المختار .. اللهم حقِّقنا بذلك بمحضِ فضلِك وجودِك وكرمك .. يا أكرمَ الأكرمين. ويا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.. والحمد لله رب العالمين.

الدرس الثاني:

قابلية الأخلاق للتغيير

الحمدُ لله رب العالمين، وصلى الله وسلَّمَ على سيدنا محمدٍ خاتم الأنبياء وإمام المرسلين ، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، والتابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبعد : فقد انتهينا في الدرس السابق إلى أن مكارِمَ الأخلاق يُمكِن اكتسابُها، ويمكن لكلِّ فردٍ من المُكلَّفين أن يَتطهَّرَ عن رَذيلِ الصفات والأخلاق، ويتحلَّى بِحميدِها وكريمِها وحَسَنِها وجَميلِها، وذلك بِصِدقِه في الطلب وقيامِه بالعزمِ في تحقيقِ هذا الأرَب والمطلَب. فإذا تمَّت منه هذه العزيمةُ أخذَ يُلاحِظ ما يصدُر منه في أقوالِه وأفعالِه وكيفيَّاتِ معاملاتِه ليُحَسِّنَ صورتَهُ الباطنةَ.

كم نرى في الأمة مَن أنفقوا الأموالَ ومَن تكلَّفوا المشاق لأن يُحسِّنُوا شيئًا مِن مظاهرِ خَلقِهِم في أعضائِهم ويُجمِّلوها، وكلُّ ذلك لا يساوي شيئًا بالنسبةِ لِتحسينِ الأخلاق، فليَعقلِ المؤمنُ هذه الحقيقة.

وقديمًا قال بعضُ العارفين الأكابر مِن أهلِ القرن السادس من أهلِ اليمن: مَن شَغَلَهُ تغذيَةُ جَسَدِه عن تغذيةِ روحِه فليَطلب أجرَه مِن الحيتان والديدان التي تأكلُ جسدَه. هذا لأنه إنما عاشَ خادمًا لها، إذ هِمَّتُه مصروفةٌ إلى أن يُغذِّيَ هذا الجسدَ منقطعًا عن تغذِيَةِ روحِه وتَهذيبِ خُلُقِه فهو يخدمُ تلكَ الديدان التي مآلُ الجسدِ أن تَنْخَرَ فيه، وأن تأكلَه تلك الحيتان، لأجلِ ذلك وصفَ الإمامُ الحداد

عليهِ رضوانُ الله حالةَ الإنسانِ بعد موتِه بالنسبة لما يتعلَّق بالخَلْقِ الجسدِي إذا غابَ عن ذهنِه أمرُ الخُلُقِ المعنوي الباطني فقال:-

تلك القبورُ وقد أضحَوا بها رِمَمًا ... بعد الضَّخامة في الأجسامِ والسِّمَنِ

بعدَ التشَهِّي وأكْلِ الطيباتِ غَدَا ... يأكُلهم الدودُ تحتَ التُّربِ واللَّبِنِ

تغَيَّرتْ منهمُ الألوانُ وانمَحَقَت ... محاسِنُ الوجهِ والعينَين والوجَنِ

وعافَهُم كلُّ مَن قد كانَ يألَفُهُم ... من الأقارب والأهلين والخدنِ

مهمة المؤمن الاعتناء بتقويم أخلاقه:

فتبيَّنَ أنَّ اعتناءَ المؤمنِ بِتَقويمِ أخلاقِه هو مُهمَّتُه التي ينبغي أن يفكرَ فيها ويدأبَ عليها، لذلك جاءت هذه الدروس تعالجُ موضوعَ هذه الأخلاقِ والتذكير بها وكيفية اكتِسابِها، ليكونَ المؤمنُ مؤدِّياً لمهمتِهِ في هذه الحياةِ متصلاً بالرسالةِ وصاحِبها الذي بُعِثَ ليتَمم لنا هذه المكارِمَ الخُلُقِية صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولقد أثنى عليه ربُّه جل جلاله في قرآنه وقال له حِينَما وصفَه الكفارُ بالجنونِ ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:١-٤] وردَّ عليهم بما يشاهدونَ من خُلُقه العظيمِ الذي يعترِفُ به الكل، ويقول إنَّ الخُلقَ العظيمَ مقترِنٌ بالعقلِ العظيم، ولو كانَ مجنونًا لَما أمكنَ صدورُ الأخلاقِ العظيمةِ منه، فإن الخُلُقَ العظيمَ منهجٌ سَوِيٌّ

في الحياةِ لاستقبالِ أحداثِ الحياةِ والتعامُلِ معها، ولا يكونُ ذلك إلا مِن صاحبِ العقلِ الواسعِ، لأجلِ ذلك جاءَ في تعريفِ العقلِ أنَّه مَلَكَةٌ في النفسِ تمنَعُ صاحبَها عن ارتكابِ القبيحِ، فتَعقِيلُها للإنسانِ وعَقْلِها إياه - بمعنى حَبسِها إياه مِن الوقوعِ في المخازِي والأسواءِ - هو حقيقةُ العقل.

وإنما يملكُ نفسَه عند الغضب ويتَخلَّقُ بالخُلُقِ الحسنِ صاحبُ العقلِ الواسعِ، ومن كان أعقَل كان أضبطَ لهذه النفس، وكان أحرسَ لها مِن أن تُدَنِّيهِ إلى ما لا ينبغي ولا يليقُ به.

مهما تبيَّن ذلكَ فإنَّ الأخلاقَ التي بُعِثَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم لِتَتمِيمِها، عليها مدارُ صلاحِ الناسِ في حياتِهم ومَثُوبَتِهم الكُبرى بعد وفاتِهم .. لأجل هذا وجبَ على كلِّ فردٍ من المسلمين أن يعتنِيَ بهذه الأخلاقِ في نفسِه وفي أسرَته ومَن هو مسئولٌ عنهم.

وفَّقنا الله للتَّخَلِّي عن الصفاتِ الذميمةِ والتَّحلِّي بالصفاتِ الكريمة.. اللهم آتِ نفوسَنا تقواها، وزكِّها أنتَ خيرُ مَن زكَّاها أنت وليُّها ومولاها .. اللهم اهدِنا لأحسنِ الأخلاقِ والأعمالِ لا يهدي لأحسنِها إلا أنت، واصرِف عنا سيِّئها لا يصرفُ عنَّا سيئها إلا أنت.. برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين ، والحمد لله رب العالمين.

عظمة الصبر وضرورته في حياة المسلم

الحمد لله، وصلى الله وسلمَ على المُرسلِ رحمةً بالرحمةِ العظمى، وعلى آله وأصحابه الذين تأدبوا بآدابِه، وساروا في طريق صوابِه، ومن تبعَهم بإحسان، إلى يوم وضع الميزان.

أما بعد: فإن خُلُقَ الصبرِ من أعظمِ الأخلاقِ التي ربَّى الأنبياءُ أتباعَهم عليها، وقد حلاَّهُم المولى جل جلاله بها فكانوا قدوةً فيها، ولقد أثنى اللهُ تبارك وتعالى على أهليها، فقال سبحانه وتعالى في كتابه في ذكرِ بعضِ أنبيائه ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص:٤٤] وقال جل شأنه ﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [الزمر:١٠].

وقال تبارك وتعالى ﴿ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾ [الشورى:٤٣].

وقال تعالى ﴿ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [الرعد:٢٣،٢٤]

وقال نبيُّه المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم «**والصبر ثوابه الجنة**» عندما ذكر فضل شهر رمضان فقال «**وهو شهر الصبر، والصبر ثوابه الجنة**»[1].

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (الحديث: ١٨٨٧) والبيهقي في شعب الإيمان (الحديث: ٣٦٠٨) عن سلمان الفارسي.

بيان معنى الصبر:

الصبر: حَمْلُ النفسِ على تَحمُّل المشاقِّ وتَكلُّفِ المكروهاتِ لها، وتَرْكِ مَحبوباتٍ أو مألوفاتٍ لها ليسَت في صالحِها تُردِيها أو تُهلِكُها أو تُضَيِّعُ وتُفَوِّت عليها خيرًا كبيرًا.. الصبر بهذا المعنى جندٌ من جنودِ العقل، تُضبَطُ به حركةُ الإنسان، ويقومُ به ميزانُ الإنصافِ للناس، ويوصِلُه ذلك إلى تركِ الانتصافِ للنفس، وهو وصفٌ مِن أوصافِ الكمال.. الصبرُ بهذا المعنى يحمل عليه حقائق الإيمانِ بالرحمنِ جل جلاله، والتصديق برِسالةِ نبيِّه المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

الصبرُ على المشاق مِن الواجبات والمندوبات ومما فيه المنافعُ والمصالحُ في الحياةِ الدنيا والآخرة، ويُعبَّر عنه بالصبرِ على الطاعةِ وأدائها على الإحسانِ، والاستمرارِ والمواظبةِ عليها.

وصبرٌ آخر هو عن محبوباتٍ لهذهِ النفسِ ومُراداتٍ لها يعلمُ العقلُ أنَّ فيها ضرَراً عليها، ويُؤدِّي بها إلى شؤمٍ وبلاء، فتصبرُ عنها مع أصلِ رغبتِها فيها لِما تعلمُ مِن غَوائِلِها(1) ومِن عواقِبها، فلذلك تُحجِمُ عنها وتتخلَّى منها وتتباعد وإن كانت محبوبةً لهذه النفس، ويُعبَّر عنه بالصبرِ عن المعاصي.

ويؤدي الصبرُ عن المعاصي إلى تَركِ كثيرٍ مما ليسَ بِحرامٍ، بل مما ليس بمكروهٍ في الشرع إذا حكمَ العقلُ أنَّ فِعلَه والقيامَ به يُنقِصُ فائدةً، أو يَحُولُ بينه وبين مرتبةٍ

(1) أي ما في طياتها من محذور.

رفيعةٍ أو خيرٍ يكونُ له في الدنيا أو الآخرة، هذا الصبرُ يؤدِّي إلى حسنِ تَقَبُّلِ الإنسانِ لمُختلفِ الأحداثِ الواقعةِ عليه، قال جل جلاله ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ۝١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٥-١٥٧]

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نِعم العِدلان ونِعم العَلاوَة[1].. **أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة** (نعم العدلان)، **وأولئك هم المهتدون** (نعم العلاوة)، نعم العدلان والعلاوة الصلوات والرحمة والهداية كلها للصابرين.

فما أعظمَ منزِلة الصبرِ عند الله تبارك وتعالى، وما أحوجَ العاقلُ إليه، وإنا نرى غيرَ المؤمنين يصبِرون على مشاق كثيرة ليقطعوا على أنفسهم المشاكل، وليتوصَّلوا إلى الأغراضِ الفانية، فكيف حالُنا مَعشَر مَن آمن، ألا نصبِرُ على ما به تحصيلُ سعادةِ الأبد وكفايةُ شرورٍ لا نهايةَ لها.

وفَّقنا الله لحسن الصبرِ والالتزام به حتى يعطينا منه أجرًا بغيرِ حساب.. إنه أكرم الأكرمين.

وصلى الله وسلم على نبيِّه المصطفى سيدِ الصابرين محمدٍ وآله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه عند تفسير قوله تعالى ((أولئك عليهم صلواتٌ من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون))

أنواع الصبر

الحمدُ لله، وصلى الله على سيدِنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ ومن اهتدى بهداه.

وبعد: فقد انتهَينا في الدرس السابق إلى الحديث عن عظَمةِ الصبرِ، وضرورتِه في حياةِ المسلم، وأنه تتعلقُ به المصالحُ الفانيةُ والباقيةُ، فَلِذا وجبَ على المؤمن أن يهتَمَّ به.. بأن يلاحظَ نفسَه من حينِ أن يستيقِظَ إلى حينِ أن يمسي، فيبني أمورَه على الصبرِ، ويعلم أنه ما دام في دارِ الدنيا فلابد له من الصبر.

وفي الإشارةِ إلى أنَّ الصبرَ هو الطريقُ للوصولِ إلى الجنة، يقول نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم «**حُفَّتِ الجنةُ بالمكاره**»(1).. فلا يَصِل إليها إلا مَن صبر على هذه المكاره، وتحمَّلَ هذه المشاق، وقد جاء في الحديث أن اللهَ لما خلقَ الجنةَ بما فيها من زينةٍ ونعيمٍ عظيمٍ أرسلَ إليها سيدَنا جبريل عليه السلام ينظرُ فيها، فلما رآها عادَ إلى ربه، فقال له الله تعالى: كيف رأيتَ الجنة؟ قال يا رب رأيتُ فيها ما يَجِلُّ عن الوصفِ ولا يسمعُ بها أحدٌ إلا حرَصَ على أن يدخُلَ فيها. فحَفَّها بالمكاره، ثم قال ارجع فانظر إليها، فلما نظَرَ إليها ورأى ما حُفَّت به مِن المكاره عاد، وقال: يا رب لقد خشيتُ أن لا يدخلَها أحدٌ؛ ثم خَلقَ النار فأرسلَ جبريلَ ينظرُ إليها فعادَ فقال: يا رب لا يسمعُ بها أحدٌ فيدخلها، أي لاحتاطَ بنفسِه وتجنَّب أسبابَ

---

(1) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب حجب النار بالشهوات (الحديث: ١٢٧/٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (الحديث: ٢٨٢٢) من حديث أنس.

الوصولِ إليها فلا يَصِلُ إليها مهما كـانَ عـاقلاً. فحَفَّهـا بالـشهوات، فلـمَّا حُفَّـت بالشهوات قال: ارجع فانظُر إليها، فنظَر إليها وهي محفوفةٌ بشهواتِ النفوسِ عـادَ فقال: يا رب لقد خشيتُ أن لا يسلمَ منها أحدٌ[1].. فحفَّت الجنة بالمكاره وحفَّـت النار بالشهوات.

لأجلِ ذلك وجَبَ أن تتفقَّد حالَكَ مِن حينِ أن تصبحَ إلى حينِ أن تُمسي كيـف أنت في إقامةِ وصفِ الصبرِ معك؟ أتستيقظُ وقتَ الصلاةِ حينَ يطيبُ لـك النـومُ في وقتٍ يؤذِّن المؤذنُ فيه.. الله أكبر .. يكونُ عنـدَ الـنفسِ استِحلاءُ المنـامِ وإرادةُ البقاءِ على الفراش، وخصوصًا أوقاتَ الشتاءِ ووقتَ شدَّةِ البردِ في الأمـاكنِ التـي يشتدُّ فيها، والمنادي يقول: الله أكبر، ويُذكِّرُكَ بالشهادتين، ثم يـذكِّرك بِحَـيَّ عـلى الصلاة وحيَّ على الفلاح. وقد يقول لك: الصلاة خيرٌ من النوم، الصلاة خير من النوم.. فهل أنتَ تصبرُ على تَركِ النومِ في ذاك الوقتِ وتـسارِعُ وتُبـادِرُ إلى امتثـالِ أمرِ الله؟ وإلا رتِّب نفسَكَ على الصبرِ في هـذا الوقـتِ في كـلِّ يـومٍ، واسـتيقِظ في الوقتِ الذي شرعَ اللهُ لك أن تستيقظَ فيه، وإن عَلَتْ بِكَ الهمَّةُ الإيمانيةُ فأنتَ تحبُّ أن تشاركَ المستغفرينَ بالأسحارِ فتستيقظَ قبلَ الفجرِ أيضًا وترغَب في ذلك.

---

(١) أصل الحديث رواه أبو داود في سننه الجزء الثاني، باب في خلق الجنة والنار (الحديث: ٤٧٤٤)، والترمذي في أبواب صفة الجنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي في المجلد السابع، كتاب الأيمان والنذور (الحديث: ٣٦٨٥).

ثم انظر كيف تنطلقُ في يومِك.. في مُعامَلتِك مع أهلِ بيتِك هل أنتَ صابرٌ على تذكيرِهِم بالفرائِض وإقامَتِهم بِأمرِ الصلاة؟ هل أنت صابرٌ على ملاحظةِ أخلاقِهم؟ أو أن حديثَك في البيت معهم محصورٌ مقصورٌ على أكلِكُم وشُربِكُم وما يتعلَّقُ بِملابِسِكُم وتهيئَةِ منازِلِكم، ثم ما يتعلَّقُ بأخبارٍ عامةٍ قد لا تَعنِيكم من هنا ومن هناك، فلا تُخاطِبُهم ولا تُكلِّمُهم حولَ واجباتِ دينِهم، ومسؤوليةٍ أنت سُئِلتَ عليها هلاَّ صَبرتَ على هذه المسؤوليةِ، وربك يقول ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا ﴾ [التحريم:٦].

إن كانت لسانُكَ اعتاد أن يغتابَ المسلمينَ كلَّ يومٍ وليلة، فهل أنت من أهلِ الصبرِ حتى تَكُفَّ اللسانَ عن الخوضِ في أعراضِ المسلمين، فإن ذلك يشينُكَ في دينِك ويُنقِصُ منزِلتَكَ عند ربِّك، والحقُّ يخاطبُكَ في قرآنه ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ ﴾ [الحجرات:١٢] وقال صلى الله عليه وآله وسلم ((**الغيبةُ أن تذكرَ أخاكَ المسلمَ بما يكره**)) فقال له صحابي: أرأيتَ إن كانَ في أخي ما أقول؟ فقال: ((**إن كان فيه ما تقول فقد اغتبتَه، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهتَّه**))[1] والبهتانُ أعظمُ والعياذ بالله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة و الآداب، باب: تحريم الغيبة (الحديث: ٢٥٨٩)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (الحديث: ٤٨٦٦)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في الغيبة (الحديث : ١٩٩٩) وقال: حديث حسن صحيح.

فاصبِر على تقويمِ لسانِكَ حتى لا تَنطِقَ بالغيبة، ولعلَّكَ تساهلتَ بالكذبِ في شيءٍ مِن أحوالِك ومعامَلتِك، فهل تصبرُ على ضبطِ لسانِك حتى تزجُرَها عن الكذب، وتَعلم وتتيقَّن أن الكذبَةَ لا تخرجُ من فَمِ الإنسان إلا تَباعَدَ الملَكانِ عنه مسافةَ ميل مِن نِتَنِ ما يخرجُ مِن فَمِه[1].

وربك يقول ﴿ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ﴿١٧﴾ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ﴾ [ق:١٧، ١٨] وتتذكَّر قولَ نبيِّك وقد سُئِلَ أيكذبُ المؤمن؟ قال ((لا، إنَّ المؤمنَ لا يكذب))[2] وتلا قولَه تعالى ﴿ إِنَّمَا يَفۡتَرِي ٱلۡكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِۖ ﴾ [النحل:١٠٥].

اللهم حقِّقنا بحقائقِ الصبرِ على الطاعاتِ والصبرِ عن المعاصي، والصبر على الشدائد والبلايا، حتى تكتبَ لنا الأجرَ العظيم والخيرَ الفخيم، وتثبِّت أقدامَنا على الصراطِ المستقيم برحمتكَ يا أرحمَ الراحمينَ ويا أكرمَ الأكرمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه ابن عساكر عن عبد الله بن جراد، وابن عبد البر في التمهيد.

(٢) روى الطبراني في المعجم الوسيط عن ابن عمر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: إذا كذب العبد كَذبةً تباعدَ منه الملك مسيرةَ ميل من نتن ما جاء به.

ثبات خلق الصبر

الحمد لله حمدًا ندرِكُ به المزيدَ من إفضالِه، ونتلقَّى به الفائضَ من نوالِه، وصلى الله وسلَّمَ على حبيبه وصفوته وعبده محمدٍ المجتبى وعلى آله وأصحابه ومن سار على دَربِه، وعلينا معهم وفيهم إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

أما بعد: فإنه قد سبقَ الحديثُ عن الصبر، وهو أساسٌ في الأخلاق، إذ يحتاجُ إليه المتَخَلِّقُ بكلِّ خُلُق، كل خُلقٍ كريمٍ يحتاجُ من صاحبِه إلى الصبر.. ولأن يدومَ على ذلك الخُلقِ يحتاجُ منه إلى الصبر، ولأن يأخُذَ بالأسبابِ التي تُمَكِّنُ فيه الخُلقَ الطيِّبَ يحتاجُ منه إلى الصبر، فلذلك في مِثل الصبرِ كان مما ينفعُ في تثبيتِه - وهو قاعدةٌ في بقية الأخلاقِ - أن تذكرَ ثوابَ الله الذي أعدَّه للصابرين، وأن تتذكرَ في كل موقفٍ يحتاجُ إلى الصبر عاقبتَه إن صبرتَ، وعاقبتَه إن لم تصبر.

كتبَ بعضُ العارفين من المُعَزِّين لِـمُعزًّى يُعزِّيهِ بموتِ قريبٍ له: اعلم إنك إن صبرتَ نَفذَ قضاءُ الله وأنت مأجور، وإن جزعتَ نفذَ قضاءُ الله وأنت مأزور.. فقضاءُ الله نافذٌ في كلا الحالَين ولكن إن صبرتَ ثبتَ الأجر، وإن جَزعتَ ثبتَ الوِزرُ والعياذ بالله تبارك وتعالى.

يحتاجُ المؤمنُ إلى تَذَكُّرِ فضائلِ الأوصافِ الحميدة، وينفعُ أيضاً في تثبيتها فيه ذكرُه لأخبارِ وحكاياتِ أهليها، فعندَ ذكرِه لأخبارِ الصابرين وقِصَصِهم التي مرَّت في الحياةِ تترَسَّخُ صفةُ الصبرِ فيه وتقوى في تَمَكُّنِها منه، حتى يقتديَ بهم.

ولقد قصَّ الله تبارك وتعالى علينا قصصًا للصابرين من أنبيائه والعباد الصالحين، وحملَت لنا السيرةُ النبويةُ صبرَ المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وهو الذي قال في صبرِه وفي تواضُعِه عليه الصلاة والسلام وقد مشى خلفَه الناسُ في زحمةٍ حتى اضطرُّوه إلى شجرةٍ فتعلَّق بها رداؤُه وسقط، فقال « **أعطوني ردائي، لو كان لي عدد هذه العضاه**[1] **نعمًا لقسمتُه بينكم، ثم لا تجدوني بخيلاً، ولا كذوبًا، ولا جبانًا** »[2] ثم لم يزالوا به حتى التفَتَ وقال « **رحمَ الله أخي موسى لقد أوذي بأكثرَ مِن هذا فصَبر** »[3] ولأجل ذلك قالوا: ما عزَّى مُعَزٍّ وسلَّى نفسَه بمثلِ ذِكرِ مَن ابتُلِي بمثلِ مصيبتِه، إذا ذكر المبتَلين بمثلِ ذلك هانَ عليه الأمر وخفَّت عليه الشدةُ ودعاهُ ذلك إلى تَمَكُّنِ الصبرِ منه.

أمثلة من صبر رسول الله صلى الله عليه وسلم

كان صلى الله عليه وآله وصحبه وسلمَ مثالاً في الصبر مِن بدايةِ حياتِه ونشأتِه، بل مِن طفولتِه عليه الصلاة والسلام إلى أن كَبُرَ وأرسله الله تعالى ونبَّأه، مَضَت حياتُه عليه الصلاة والسلام على حُسنِ الصبرِ وهو القائل عن منزلتِه « **إنَّ مِن أقلِّ ما أوتيتُم اليقين وعزيمة الصبر، ومَن أُعْطِيَ حظَّه منهما لم يبالِ ما فاته من قيامِ**

---

(١) العضاه: هي كل شجر عظيم له شوك.

(٢) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير ،باب: الشجاعة في الحرب والجبن (الحديث: ٢٦٦٦) من حديث جبير بن مطعم.

(٣) رواه البخاري في كتاب المغازي، باب: غزوة الطائف (الحديث: ٤٠٨١)، وأحمد من حديث ابن مسعود .

الليل وصيام النهار))[1] أي وإن نقصت بعضُ مظاهرِ العبادةِ المندوبةِ فإن وجودَ هذين الوصفينِ فيه يُعيضُهُ عن كلِّ ذلك ويرفعُ رتبتَه عند الله.

الوصفان هما اليقين وعزيمةُ الصبرِ وإنهما مِن أقلِّ ما أوتيتم أي لا يُؤتاهما إلا الأقل مِن العباد، وهم الذين اصطفاهُم اللهُ تبارك وتعالى وأرادَ سعادتَهم وفوزَهم .. جعلنا الله منهم .. فينمِّي الصبرَ ذكرُ أخبارِ الصابرين وما لاقَوه وما قاسَوه - وهو أشدُّ مِمَّا يلاقي أحدُنا من غيرِ ما شك - وكيف ثَبتوا على ذلك وتَحمَّلوا وجالَدُوا وجاهَدُوا عليهم رضوانُ الله تبارك وتعالى، ويكفي في ذلك بعضُ الأمثلةِ من سيرةِ سيدِ الوجودِ محمدٍ صلى الله وسلَّمَ وبارَكَ عليه وعلى آله وهو الذي حينَ شُجَّ جبينُهُ وكُسِرت رُباعِيَّتُه ولما خرجَ الدمُ منه تلقَّاه بيده، وقال: أخشى إن وقعت قطرةٌ منه على الأرضِ أن يُعجِّلَ الله العذابَ عليهم، ثم قالوا له ألا تدعو عليهم؟ قال: ((**اللهم اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون**))[2].

ولقد أقبلَ عليه يهودي وعنده له دَينٌ، فأخذَ يَجُرُّ رداءَ المصطفى صلى الله عليه وسلم حتى احمرَّ عُنقُه الشريف.. فقال: أدِّني دَينِي الذي عندك فما عُرِفتُم يا بني هاشمَ إلا مُطلاً، أي تُماطِلونَ الناسَ في حقوقِهم، فهو مع ذلك اعتدى عليه وسبَّه،

---

(١) ذكره الغزالي في الإحياء وقال الزبيدي في الإتحاف هو من رواية شهر بن حوشب عن أبي أمامة الباهلي، وقال العراقي: لم أجد له أصلا.

(٢) أخرجه ابن حبان والبيهقي في دلائل النبوة من حديث سهل بن سعد، وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود أنه حكاه صلى الله عليه وسلم عن نبي من الأنبياء ضربه قومه.

ومَوعدُ الدينِ لم يحل بعد.. فقام سيدُنا عمر يقول: ائذن لي أن أضربَ عنقَه يا رسولَ الله.. فقال: كنتُ أنا وهو أحوجَ إلى غيرِ هذا منك، مُرهُ بِحُسنِ الطلبِ ومُرنِي بِحُسنِ القضاء، واعلم أنَّ موعِدَ الدينِ لم يحل وبَقِيَ منه ثلاثةُ أيام، فقم يا عمر واقضِه حقَّه وزِدهُ عشرين مَكانَ ما رَوَّعتَهُ، فأخَذَه وزادَه عشرين، قال: يا عمر إني ما فعلتُ ذلك إلا أني قرأتُ وَصفَ رسولِ الله في التوراةِ فوجدتُ جميعَ الأوصافِ فيه إلا وصفَين: هل يسبق حلمُه جهلَه، وأنه لا تزيدُه شِدَّةُ الجهلِ عليه إلا حلمًا، وقد خبرتُهُما فيه اليوم، فأنا أُسلم وهذا المالُ صدقة للمسلمين، فجاءَ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال: امدُد يدَكَ فأنا أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنكَ رسولُ الله.. صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم»[1].

اللهم ثبتنا على الصبرِ الجميل، وعلى متابعةِ نبيِّكَ الجليل، واجعلنا من القائمينَ بحقِّك يا بر يا رحمن.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبه وسلَّم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (الحديث: ٦٥٤٧) وقال صحيح الإسناد.

الحلم

الحمدُ لله الرحمنِ الرَّحيم، الملكِ الحليم، وصلى الله وسلَّم على صاحبِ الخُلقِ العظيم، الذي هدانا إلى النهجِ القويم، والصراطِ المستقيم، وعلى آلِهِ وصحبِه ومن سارَ على سبيلِه واهتدى بِهديِهِ إلى يوم الوقوفِ بين يَدَيِ الله العظيم، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فإنَّه عندَ الأحاديثِ السابقة عن الصبر جاءت لفتةٌ إلى خُلقِ الحِلم الكريم، خُلق الحلم الذي بَرأ الله عليه أنبياءَه ورسلَه.. خُلق الحلم الذي وصفَ الله تعالى به نفسَه في كتابِه.. خُلق الحِلم الذي جاء عنه في الأثر «**كاد الحليم أن يكون نبيًّا**»[1] خُلق الحلم الذي يجعلُ صاحبَه سيدًا بينَ الناس.. خُلق الحلم له مرتبةٌ عظيمةٌ بل لا تستَقرُّ حقيقةُ العلمِ إلا بِرُسوخِ وصفِ الحِلم.

الحلمُ ملك النفسِ عند الغضب، وهو مِلكٌ شريفٌ أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم من استوصاه بقوله: «**لا تغضب**». فَردَّدَ طلبَ الوصيةِ مِرارًا.. جاءه من الشقِّ هذا والشقِّ الآخر بعد أن جاءه من أمامه، فقال: «**لا تغضب، لا**

---

(١) رواه الخطيب في التاريخ، والديلمي عن أنس بن مالك مرفوعاً، والسيوطي في الجامع الصغير وقال حديث ضعيف.

تغضب، لا تغضب))[1] ثم قال ((ويحك أما تَفقه قلتُ لكَ لا تَغـضَب)). فأوصـاهُ النبيُّ بهذه الوصية، والمعنى لا تُنَفِّذ غَضَبَك.. أُملك نفـسَك عنـد الغـضب، وقـد جاءَ في الحديث ((ليس الشديدُ بالصُّرَعة، إنـما الـشديدُ الـذي يملـكُ نفـسَه عنـد الغضب))[2] ليس الشديدُ بالصرعة: أي صاحب القوة الجَسدية التي يـصرعُ بهـا الرجال فليس هذا هو الشديد القوي.. ولكن الـشديدَ الـذي يملـكُ نفـسَه عنـد الغضب. إذا غضبَت نفسُه تمالَك وأقامَ الميزانَ حتـى لا يَتـصرَّفَ إلا بـما هـو أولَى وأليَق.

حاجة المؤمن إلى خُلق الحلم:

كم يصادفُك في اليوم من أنواعِ الغضب فإن كنتَ سريعَ التفاعُل والتأثُّر فأنـتَ تحتاجُ إلى أن تتهذَّبَ بِدينك هذا، وبمنهجِ الله الذي أرسلَ بـه نبيَّـه صـلى الله عليـه وآله وسلم، وتأخذَ مِن أخلاقِ الإسلامِ الحلمَ حتى تَتَعوَّدَ أن لا تقابـلَ مَـن أسـاءَ إليك بالمبادَرةِ بالإساءَة، وحتى يَصدرَ منك الجميلُ أمام إيرادِ السوءِ إليك، وحتى تحوزَ الوصفَ الذي يحبُّه ربُّـك جـل جلالـه مِنـك وفيـك، وهـو وَصـفُ الحلـم والتغاضِي عن المَعايِب وجزاءُ السيئةِ بالحسنة.

---

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة في كتاب الأدب باب الحذر من الغضب (الحديث: ٥٧٦٥)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في كثرة الغضب (الحديث: ٢٠٨٩).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب : الحذر من الغضب (الحديث: ٥٧٦٣)، ومسلم في كتاب البر والصلة و الآداب، باب: فضل من يمسك نفسه عند الغضب (الحديث: ٢٦٠٩).

هذا الحِلمُ مِن شأنِه أن يدفعَ آفاتٍ كثيرةً عن الإنسانِ في حياتِه.. كم فتحَ الغضبُ مِن أنواعِ شرور وإيغارِ صدور ووقوعٍ في مَهاوٍ كثيرة تؤدِّي إلى أضرارٍ واسعةٍ خطيرةٍ بسببِ كلمةٍ يَتكلَّمُ بها الإنسانُ في غَضَبٍ أو تَصَرُّفٍ يتصرَّف به وهو مُغضَب، لذلك قال الحكيم: إذا غضبتَ فتذكَّر غضبَ الله، حتى تملكَ نفسَكَ وتخافَ من غضبِ ذي القدرةِ والبطشِ الشديد جل جلاله، قال: تذكَّر قُدرةَ الله عليك إذا غضبتَ فقدرتَ على خَصمِك أو على عدُوِّك، وأنت في ذلك على مراتِب: فَمرتَبةٌ أن تُجازِيَ بالمثل. وأعلى منها ﴿ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [الشورى: ٤٠] وفي الحديث ((**إذا أوقفَ الله العبادَ نادى منادٍ ليقُم من أجره على الله فليَدخل الجنة قيل: من ذا الذي أجره على الله قال: العافون عن الناس فقام كذا وكذا ألفا فدخلوا الجنةَ بغير حساب**))[1] يقومُ العافونَ عنِ الناسِ إذا نادى المنادي: لِيقُم مَن كانَ أجرُه على الله، وإنَّما يكونُ العفوُ والحِلمُ عندَ المقدِرَة، فمِن الناسِ مَن يتظاهرُ بالحلم لأنه لا حيلةَ له في أن يُنَفِّذَ غضبَه ويَصِل إلى مقصودٍ من خَصمِه فليس هذا بالحِلم، وإنَّما الحِلم أن يكونَ قادرًا على أذى من يُؤذِيه أو على أن يشفيَ غيظَه في مَن يُخاصمُه ولكن يترك ذلك تَعَفُّفًا وأدبًا وطلبًا لِرضا الربِّ جل جلاله، فهذا هو الحِلم المحمودُ عندَ الله تباركَ وتعالى، وبه تَرتِفعُ المَنازل.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط وابن أبي الدنيا في ذم الغضب.

جاء ذِكرُنا للحِلم في مَوقفِ[1] النبي صلى الله عليه وسلم مِن ذلك اليهودي الذي جاءَ قبلَ موعدِ الدَّين، فخبَرَ حِلمَه الشريف فشاهدَ منه الحلمَ الجميلَ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولقد تأثَّرَ ذلك اليهودي فدخلَ إلى الإسلام مِن أثرِ ما رأى مِن حِلمِ النبي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وقد رآه أعرابي عند رجوعِهم من غزوةِ بني المصطلق وقد عَلَّقَ سيفَه بِشجرة وتركَ الصحابةُ هذه الشجرةَ لِسَعتِها وظِلِّها لنبي الله، وتفرَّقوا في الشَجرِ المُتباعدِ وناموا، ونام تحت الشجرة فرآه المشركُ من أعلى الجبلِ فخرجَ بينَ القوم حتى وصلَ إليه فاخترَطَ السيفَ، فانتبهَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فرفع هذا المشرك السيف وقال: مَن يَمنعُك مني يا محمد؟ فقال نبينا: (الله) فلما نطقَ بهذه الكلمةِ ارتَعدَ قلبُ ذلكَ الرجل وسقَطَ السيفُ من يده، فاحتملَ النبيُّ السيفَ وقامَ وقال: ومن يمنعُك مني الآن؟ فقال لا أحد، كُن خيرَ آخذ، فقال: قد عفوتُ عنك، وأغمدَ السيفَ وردَّه في مكانِه ونادى على أصحابه يُقيمُهم مِن المَنام فجاءوا والتَفُّوا حولَه ورأوا هذا الأعرابي. قال: إن هذا جاءني واخترَطَ سيفي وقال من يمنَعُكَ مني؟ فقلتُ له: الله، فسقطَ السيفُ من يَدِه فأخذتُه، فقلتُ من يمنَعك مني؟ فقال: لا أحد.. فعفوتُ عنه. فتوجَّه إلى أصحابه وقال: والله ما يكونُ هذا

---

(١) تقدم ذكره صفحة ٢٣.

إلا مِن نبي.. فأسلمَ ودعا أصحابَه إلى الإسلام بِخُلُقِ النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم[1].

يأتي خُلقُ الحلم بالتَعوُّدِ عليه، قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما العلمُ بالتعلُّم، وإنما الحِلمُ بالتحلُّم، ومن يتحرَّ الخيرَ يُعطَه، ومن يتَّقِ الشرَّ يوقَه»[2] فإذا تعلم صارَ عالمًا بعد أن كان جاهلاً، فكذلك يصيرُ الغضوبُ حليمًا إذا جاهدَ نفسَه وخالفَ غضبَه ومُقتَضاه وكظم غيظَه، قال تعالى ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

سكبت جاريةٌ للإمام الحليم علي زين العابدين بن الحسين ماءً ليتوضأ، فسقط الأبريق من يدها على وجهه، فشجَّه فرفع رأسَه إليها، فقالت الجارية: إن الله يقول ﴿ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ ﴾ فقال قد كظمتُ غيظي قالت ﴿ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ ﴾ فقال عفا الله عنك، فقالت ﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ قال: أنتِ حُرَّة لوجهِ الله الكريم.. أعتقناك. فنالَت العتقَ لَّما ذكَّرتهُ بكتابِ الله تعالى.

---

(١) أصل الحديث رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة (الحديث: ٢٧٥٠)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب توكله على الله وعصمة الله له من الناس (الحديث: ٨٤٣)

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد، كتاب العلم، باب: العلم بالتعلم، والدار قطني في الأفراد (الحديث: ٥٣٨)، والطبراني عن أبي الدرداء.

وهذه الأخلاقُ هي التي وصفَ الله بها عبادَه الصالحين والمؤمنين، ولأجل ذلك جاء في الحديث «**ما مِن جُرْعَةٍ أعظمُ أجراً عِند الله، مِن جُرْعةِ غَيظٍ كظمَها عبدٌ ابتغاءَ وجهِ الله**»(١) هذه أحب جرعةٍ إلى الله تعالى يتجرَّعُها المؤمن. حتى إنه جاءَ في الحديث «**من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبَه أمنا وإيمانا**»(٢)، فليُخاطبِ المسلمُ نفسَه كيف هو وهو يُستَغضَب كثيرًا.. وإنما فائدةُ الغضب أن يغضبَ لله تعالى. لذا جاء في السيرة النبوية(٣) أنه كانَ لا يغضبُ لِنفسِه وإنما يغضَبُ لله، فإذا غَضِب لله لم يَقم أحدٌ لِغضبه، ويعفو عن الذنبِ إذا كان في حقِّه وسببه فإذا أُضِيعَ حقُّ الله لم يقم أحدٌ لِغضبِه صلى الله عليه وسلم.

فائدة وجود الغضب عند المؤمن:

فائدةُ الغضب أن يقوم المؤمنُ بنصرةِ شرعِ الله، والغيرَة على دين الله.. وكيف يتِمُّ الجهادُ والنُّصرةُ لدينِ الله لو لم يوجد هذا الغضب؟ فوجودُ الغضبِ إذن في الطَّبعِ البَشرِي لِحكمَةٍ ولفائدةٍ يعلمُها الله تعالى. إنما الشرائعُ تُسَيِّرُ هذا الغضبَ وتُجرِيه في مجرَاه الصحيح فتَجعلَه في مكانِ ما يحبُّ الله. وحينئذٍ يقومُ الجهادُ في سبيلِ الله، وتقومُ الغيرَةُ على دينِ الله.

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد باب الحلم (الحديث: ٤١٨٩)، والطبراني وأحمد في مسنده عن ابن عمر، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث حسن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن ابن عباس، والسيوطي في الجامع الصغير وحكى ضعفَه.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة.

فانظر نفسَك مع أصحابِك متى تغضب؟ إن كانَ غضبُك عندما يتغـيَّر عليـكَ أمرٌ من مصالحِ دُنياكَ أو ترتِيبِك الخاص، وغَضبُك عندما تسمعُ سبًّا عليـكَ، ثـم لا غضبَ عندَ تركِ صلاةٍ ولا عندَ نُطقٍ بِسبِّ المسلمين ولا عند أي معصيةٍ فعالج نفسَكَ قبلَ أن يُؤَدبكَ ربُّك جل جلاله، وقوِّم هذا الخُلُقَ فيك.

أُنظُر متى تغضبُ في ليلِك ونهارِك مع أصحابك، ومع أهـلِ بيتِـك، ينبَغـي أن يكونَ غضبُك لا إذا ضَاعت الدراهمُ، ولا إذا أخَّرُوا غَداءك، أو نَقَّـصوا في طَـبخِ عشائِك، أو لم يُمَهِّدوا لك الفراش، وليكُن غضبُك عندما يُضَيِّع أحدُهم الصلاة، وعندما ينطقُ بكلمةٍ لا يرضاها الله، وعندما يُجالِسُ مَن لا خيرَ فيه، وعندما تخرجُ المرأةُ إلى تَبَرُّجٍ، ومقابلةِ أجانب أو خروجٍ عن الحياء، فلـيَكُن غـضبُك هنـا، سَـيِّر الغضبَ بِمنهجِ الله في مسارهِ الصحيحِ، حتى يُؤَدِّي الغضبُ فائدتَـه مِـن وجـودِه فيك. ولأجلِ ذلك قالوا معنى قوله ((**لا تغضب**)) أي لا تنفِّذ غـضبَك بـل سَـيِّره بِمسارِ الشريعة.

وجاءنا الإرشادُ أنه ينبغي لِمَن غضبَ وهو قائمٌ أن يجلسَ[1] أو وهو جـالسٌ أن يضطجِعَ فإنَّ ذلك يخفِّفُ عنه الغـضب حتـى يتمالـكَ نفـسَه، وأُرشِـدَنا أيـضا إلى

(١) رواه الإمـام أحمـد وأبـو داود في كتـاب الأدب، بـاب: مـا يقـال عنـد الغـضب (الحـديث: ٤٧٨٢)، وابن أبي الدنيا في ذم الغضب عن أبي هريرة، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث صحيح.

الوضوءِ عندما يثورُ الغضب، وفي الحديث: ((**إن الغضبَ مِن الشيطان، وإن الشيطانَ خُلق مِن النار، وإنما تُطفأُ النارُ بالماء، فإذا غضبَ أحدُكُم فليَتوضَّأ**))[1].

هكذا شأنُ المعالجةِ لهذا الغضبِ الطارئ على الإنسان، وقيل إن الشيطان يقول إني لأوَسوِس على ابنِ آدمَ في قلبِه فإذا غَضب طِرتُ إلى رأسه فلعبتُ به كما يلعبُ الصبي بالكرة[2].

اللهم ارزقنا الحلم واملأ قلوبَنا بنورِ العلم، واجعلنا من الهداةِ المهتدين، ووفِّقنا لما تحب وترضى يا رب العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث عطية السعدي، وأبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقال عند الغضب (الحديث: ٤٧٧٦) وابن حبان عن أبي ذر، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث حسن.

(٢) أورد الإمام الغزالي نحوه في المجلد الثالث من إحياء علوم الدين.

السماحة

الحمد لله، وصلى الله وسلمَ على نبيِّه وعبدِه وحبيبِه ومصطفاه، سيدِنا محمدٍ وآله وصحبِه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد .. فإنَّ مما يتصلُ بالحلم الذي سبَق الحديثُ عنه ودُعيَ كلُّ مُؤمنٍ إلى أن يتَّصفَ به، ويجعلَه في واقعِ حياتِه ومعاملاته، ويحملَ نفسَه عليه أمرُ السماحة.. السماحة في الإسلام من الأخلاق التي تمَّمها النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في دَعوتِه لأتباعِه ومَن آمنَ به، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**رَحِمَ الله رجلاً سَمحًا إذا باع، سَمحاً إذا اشترى، سَمحاً إذا قضى، سَمحاً إذا اقتَضى**))[1] وذلك أن السَّموحَ يكونُ أبعدَ عن مواطنِ الغضبِ وإثارتِه في النَّفسِ، بل من شأنِ سماحتِه أن يُسَكِّنَ بها سَورةَ الغضبِ عند مَن يُقابله وعند مَن يتعامَلُ معه.

مظاهر السماحة في الحياة

والإنسانُ السَّمح هو الذي تَلينُ عَريكَتُه وتَحسُن عِشرتُه ويَبتعِدُ عن مظاهرِ الشدةِ ومظاهرِ العنفِ في قولِه وفي فعلِه، فطَرحُه سَمح، ومحاولتُه للأمر سَمحَة، وبيعُه سَمح، وشِراؤُه كذلك، وقضاؤه إذا قضى، واقتضاؤه إذا اقتضى حقَّه من غيره يكون على وجه السماحةِ، فيظفرُ برحمةِ الله بدعوة نبي الله صلى الله عليه وآله

(١) رواه البخاري في كتاب البيوع، باب السهولة والسماحة في الشراء والبيع (الحديث: ١٩٧٠)، وابن ماجه في كتاب التجارات، باب السماحة في البيع (الحديث: ٢٢٠٣).

وصحبه وسلم .. إذ دعا بالرحمةِ للرجل السَّمح إذا باع وإذا اشترى وإذا قضى وإذا اقتَضى.

وهذه السماحة وصفٌ كريمٌ يُغرَسُ في قلوبِ أهلِ الكرامة، فقد يكون كبقيةِ الأخلاقِ مجبولٌ عليه الإنسانُ فيَسهلُ عليه أن يُرسّخه وأن يعملَ به. وقد يكونُ وهو الغالبُ أن الإنسانَ يُجبَل على العجلةِ والسرعةِ والشدةِ في طَرحِ الأمور، والتَشبُّث بالرأي، وإرادة أن تكونَ الأمورُ على مقتضى مرادِه وهواه، وهذا تصعُبُ عليه السماحةُ فيما يحاولُ وفيما يريدُ وفيما يعامِل، فهو إذا عامَل عامَلَ بِنوعٍ من الغِلظةِ والشراسةِ لأنه يريدُ تحقيقَ الأمرِ المرادِ لنفسِه بأيِّ وجهٍ كان، وكذلك إذا حاولَ أمرًا حاوله بالقوة والشدة.

ومرجِعُ ذلك إلى غلبةِ النفس واستِعصائها على ذلك الإنسانِ الذي ضَعفت قُوى عقلِه وحُسن تفكيره ونظَرِه في الأمور، بل الأمرُ متصلٌ على وجه الحقيقة بإدراكِ الإنسان أن الكونَ جارٍ على إرادةِ غيرِه وتقديرِ غيرِه وتدبير غيره، وهو الإلهُ الحق فإذا تصوَّر ذلك واعتقده وتحقَّق به رسخ في نفسه أنه مهما جرى أمرٌ فقد قدَّره الله، ولا يكون إلا ما شاءه، كما جاءنا في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم قال: ((**ما شاءَ اللهُ كان وما لم يَشأ لم يكُن**))[1]

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا أصبح (الحديث: ٥٠٦٧).

فخَفَّ عليه الأمرُ وعلم أنه من المُتوقَّعِ دائما أن تـأتي الأمـورُ والأحـوال عـلى غـيرِ مُشتهاه وعلى غير مراده، فهو عبدٌ ليس بِرَب.. إنما الذي لا يكون إلا مـا أراد هـو واحد، وهو الله الواحد.

فحينئذٍ ما الداعي إلى الشراسَة والحِدَّة ومحاولةِ الأمورِ بالقوة!؟ بل عُلِّمنا كنـزًا من كنوزِ جنةِ الله وهو قولُنا: « **لا حول ولا قوة إلا بالله** » يقول رسـول الله صـلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: « **لا حول ولا قوة إلا بالله كنزٌ مِن كنوزِ البر** »(١) أي كنزٌ مِن كنوز الجنة، فإذا ثبتَ في قلب المؤمن أنه عبدٌ مملـوكٌ مخلـوق، وأنَّ الأمـورَ تجري بإرادةِ مريدٍ مقدِّرٍ مُدبِّرٍ هو الله سبحانه وتعالى حَلَّت عنده السماحةُ فيما يريـدُ محاولتَه.

ولما سُئل بعضُ العارفين بِمَ عرفت ربك؟ قال: بنقضِ العزائم إنِّي أُجمِع العُـدةَ للأمر وأعزم عليه وأتوجَّه إليه فلا يُقدَّر ولا يكون، وأمورٌ لم تخطـر عـلى بـالي فـلا أدري إلا وحدثت، فعلمتُ أنَّ في الأمرِ تدبيراً غير تدبيرِنا وقدرةً غير قدرتنا. وفي هذا المعنى يقول القائل:

يـدبرُ المـرءُ أمـرًا ثـم يُبرمُـه ... حـتماً فتـصرفُهُ عنـه المقـاديرُ
لـيعلمَ المـرءُ أنَّ الأمـرَ لـيس لـه ... وفـوقَ تقـديرِنا لله تقـديرُ

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى وكان سميعاً بصيرا (الحديث: ٦٩٥٢)، ومسلم باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر (الحديث: ٢٧٠٤).

اكتساب السماحة من الإيمان:

يجبُ على المؤمنِ أن يكتسبَ السماحةَ من إيمانه، ومن يقينِهِ ومن توحيده فيكون متأدبًا مع الله تبارك وتعالى، يعاملُ الحقَّ تعالى فيما أراد كما أحبَّ منه وأراد، فلا يغضب إلا لله جل جلاله وإذا حاولَ أمرًا حاولَه مستعينًا بربه، حاوله واثقاً بربِّه، حاولَه متأدِّبًا مع ربه، حاوله ليس بِمُصمِّمٍ أن لا يكون إلا مراده، بل تكون عزائمُه مصروفةً إلى ما طَلب منه الحق سبحانه وتعالى، لا إلى الأمور التي هي إلى الحقِّ يقضِي فيها بما شاء.

انظر إلى ما قد قضاه مما طلب منك فاجعل عزيمتَك في تنفيذِه، وأما أن يكونَ أمرًا آخر مما يتعلق بإرادتهِ ولا إرادةَ لك فلا ينبغي أن يحكمَ فيه رأيك ولا عقلُك، وكُن مع ذلك سَمحًا في تعامُلِك، فالسماحة من خُلق الإسلام الذي جاءنا به نبي الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

اللهم سامحنا فيما جَنينا واعفُ واصفَح عنا، وخَلِّقنا بِخُلق السماحةِ والصفحِ والعفوِ والحلمِ يا ربَّ العالمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلَّم

والحمد لله رب العالمين.

صلة الرحم

الحمد لله، وصلى الله وسلَّم على صفوته محمدِ بن عبد الله، وآله الطاهرين، وصحبه الأكرمين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فإنَّ مما دعانا إليه الحقُّ ورسوله خُلقَ الصِّلةِ وخصوصاً للأرحام، وجاءت صلةُ الرحم تَحتلُّ منزلةً كبيرةً في تعليمِ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وهديِه الذي جاء به، وإرشاد الله تعالى في قرآنه.. ولقد جاء التهديدُ والوعيدُ الشديدُ لِمن أهملَ هذا الخلقَ الكريمَ بِلَعنةِ الله تعالى، وأن يعميَه، وأن يُصِمَّه، قال جل جلاله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٢، ٢٣]

أيُّ مؤمنٍ على ظهرِ الأرض يتلو هذه الآية ثم يبقى مُصِرًّا على قطيعةِ رحمٍ ولو كان رَحِمُه أَخذَ مالَه كلَّه، ولو كان مالُه الدنيا بما فيها فأخذه ذلك الرحم لا يقوى المؤمنُ بعد قولِ الله هذا على الاستمرار على قطيعة الرحم.. إنْ هو إلا غرور يَغُرُّهم به إبليس يَحُول بينهم وبين رحمةِ الله تبارك وتعالى.

ولقد جاءنا في الحديث ((**إن الرحم تعلَّقت بقوائمِ العرش وقالت: يا رب هذا مقامُ العائذِ بك من القطيعة، فقال: أمَا يرضيك أن من وصَلكِ وصلتُه ومن قَطعك قَطعته، أنتِ الرحم وأنا الرحمن شققتُ لكِ اسمًا من اسمي**))[1].

قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴾ (الرعد:٢٥) وقال نبيه صلى الله عليه وآله وسلم ((**تُعرَض الأعمالُ على الله كلَّ اثنين وكل خميس فلا يقبلُ عملَ قاطعِ رحم**))[2] فقل للذي غرَّته نفسه أن يستمرَّ على قطيعة رحمٍ من أرحامه: أيرضيكَ أن تُرَدَّ عليك صلواتُك وأعمالُك الصالحاتِ كلُّها مقابل ماذا؟ مقابل ما لا يُعَد شيئاً أمام ردِّ تسبيحةٍ واحدة، فكيف بِرَدِّ جميعِ الأعمال!

كما أن قاطعَ الرحم محرومٌ من المغفرةِ في الاثنين والخميس، ومحرومٌ من المغفـرة في شهر رمضان الكريم المبارك.. فَحقٌّ على كل مسلمٍ أن يتخلَّصَ من هذه الـسيئة والمصيبة الكبيرة.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: وتقطعوا أرحامكم (الحديث: ٤٥٥٢)، ومسلم في البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطعها (الحديث: ٢٥٥٤). والترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في قطيعة الرحم (الحديث: ١٩١٢).

(٢) رواه الطبراني في الكبير عن أسامة بن زيد، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث ضعيف.

واصِل أرحامَك وارتقِ في درجاتِ المواصَلة فإن نبيَّك صلى الله عليه وسلم يقول «**ليس الواصلُ بالمكافئ**» أي الذي يَرُدُّ إلى رَحِمِهِ مثلَ الذي أعطاه «**ولكن الواصلَ الذي إذا قُطِعَت رَحِمُهُ وَصَلها**»[1] إذا قابلوه بالإساءة قابلَهم بالإحسان، وهي مكارم من مكارم النبوة يقول عنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**أمرني ربي بتسع: الإخلاص في السر والعلانية، والعدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وأن أعفوَ عمَّن ظلمني وأصِلَ مَن قطعني وأعطيَ من حرمني، وأن يكونَ صَمتي فِكرا ونُطقي ذكرا، ونَظَري عبرة**»[2] فما أعظمها من تسع خصالٍ أمرَ بها ذو الجلال نبيَّه محمدًا المصطفى مظهر الجمال والكمال.

اللهم أدِم صلواتك على عبدِك الذي حلَّيته بأشرفِ الخِلال، واجعلنا اللهم مِن أهل الصِّلة.. وواصِلنا واحفظنا من القطيعة ولا تقطع رجاءنا، واجعلنا من الهداة المهتدين برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو في كتاب الأدب، باب: ليس الواصل بالمكافئ (الحديث: ٥٦٤٥). والترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في صلة الرحم (الحديث: ١٩٧٣)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب صلة الرحم (الحديث: ١٦٩٧).

(٢) رواه ابن الأثير في جامع الأصول، وأورده القرطبي في الجامع لأحكام القرآن عند تفسير قوله تعالى: خذ العفو ...

الدرس التاسع

الصدق في القول

الحمد لله أصدقِ القائلين، وصلى اللهُ وسلمَ على نبيِّه الصادقِ الأمين، وعلى آلـهِ وصحبِهِ وتابعيهِم بإحسانٍ إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يـا أرحـمَ الراحمين .. وبعد :-

فإنَّ من أعظمِ أخلاقِ الإسلام التي بُعث لتتميمِها نبيُّ الله خيرُ الأنام الصدق، والصدق في القول وفي العمل وفي النيات وصفٌ من شأنه أن يُثبتَ الله بـه النفـعَ لصاحبِهِ بأعمالِهِ يومَ القيامة، قال تعـالى: ﴿ هَٰذَا يَوۡمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدۡقُهُمۡۚ ﴾ (المائدة:١١٩)

ولنأخذ أولاً صدقَ القول والصدقَ في الحديث، فهو أساس وله ارتباطٌ بالـصدق في العمل والصدقِ في النية.

الصدقُ في القول والحديث مراقبةٌ للحق تبارك وتعالى ومَلكـةٌ عنـد الإنـسان تدلُّ على إيمانه حتى قال بعضُ العارفين: ما رأيتُ تقوى أحدٍ في لسانه إلا ورأيـتُ أثرَ ذلك على جميعِ أعضائِه وأحواله. وقد جاء في الخبر « **أنه ما يصبحُ ابن آدم يومًا إلا وأعضاؤه تنادي اللسان تقول اتقِ الله فينا فإنما نحنُ بك إن استقمتَ استقمنا وإن اعوجَجتَ اعوَججنا** »[1] فهذا اللسان له شأنٌ كبيرٌ في الميزان، ولقد قـال نبـي

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الزهد، باب: ما جاء في حفظ اللسان (الحديث: ٢٥١٨) وأحمد عن أبي سعيد الخدري، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث صحيح.

الله صلى الله عليه وآله وسلم لسيدنا معاذ ((**ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكبُّ الناسَ في النار على مناخرهم أو قال على وجوهِهم إلا حصائدُ ألسنتِهم**))[1] .

وكان من أعظمِ جُرمِ اللسان: الكذب، والكذب هو الإخبارُ بغيرِ الواقع.. أن يتكلمَ بغير الواقع، فهو في الحديث العادي جُرم وإثم، فإذا ترتبَ عليه إضرار بمسلمٍ تضاعفَ الوزرُ وتضاعفَ الإثم والعقاب، فإذا كان شهادةَ زورٍ استحقَّ صاحبُها غضبَ الله تعالى ومقتَه وطردَه، حتى جاء وصحَّ في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((**لا يشهد أحدٌ شهادةً يزيد فيها كلمةً مِن غير الواقع إلا لم يرفع رجلَه إلا وهو في سخطِ الله**))[2] لم يرفع رجلَه من مكان الشهادة إلا وهو في سخط الله تعالى.

أثر الصدق على القلب:

إن لصدقِ القول والصدق في الحديث وتجنُّبِ الإنسانِ للكذب في أحواله أثراً كبيراً في تطهيرِ قلبِه وتنويرِ ضميرِه واستقامةِ حالِه، فعلى المؤمنِ أن يبذلَ همَّته في مراعاةِ كلامِه، وأن لا ينطق إلا بالواقع، وأن يتباعدَ عن الكذب تباعدًا، فلقد سُئل نبيُّ الله صلى الله عليه وآله وسلم: هل يكذبُ المؤمن قال: لا ..[3] وتلا قولَ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد والترمذي في أبواب الإيمان، باب ما جاء في حرمة الصلاة (الحديث: ٢٧٤) وقال: حديث حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه في كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة (الحديث: ٣٩٧٣) عن معاذ بن جبل.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط عن ابن عمر.

(٣) رواه ابن عساكر عن عبدالله بن جراد، وابن عبد البر في التمهيد .

الله ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (النحل: ١٠٥)، ولذلك جاء في سيرةِ الصحابةِ أنهم كانوا لا يتَّهمون بالكذب إلا منافقًا، أما المؤمن فلا يجوِّزون عليه الكذب بل يستبعدونه كل الاستبعاد.. قال صلى الله عليه وسلم: «كل خصلةٍ يُطبع عليها المؤمن ليس الكذب والخيانة»[1] قد يُطبَع على بعضِ خصالٍ ذميمة فمطلوبٌ أن يعالجَ نفسَه منها، لكن لا تستقر فيه وهو مؤمن طبيعة الكذب ولا الخيانة أبدا، لا يُطبَع على خصلةِ الكذب ولا على خصلةِ الخيانة مؤمن، إنما يكون ذلك في المنافقين.

الاعتناء بتربية الأولاد على الصدق:

وجبَ أن يعظِّم الناسُ شأنَ هذا الكذب وأن يهتدوا إلى الصدق في القول، ويربُّوا على ذلك أبناءهم وأسرَهم، ولو أن وليَّ أمرٍ خاطبَ أولادَه بالصدقِ وحثَّهم عليه، وحذَّرهم من الكذبِ ثم جاءه يومٌ مِن الأيامِ سائلٌ يسأل عنه، فقال لأحدِ أولادِه: قل له هو غير موجود، أو ليس في البيت، أو خرج، أو غير ذلك من الكذِبات لهدَم جميعَ ما كان يقوله ويبنيه في نفوسِ وعقولِ هؤلاء الأطفالِ والناشئة، لأن الفعلَ كذَّب القول، وحينئذ يكون الكذبُ في العمل سبباً لأن يُذهبَ رونقَ الصدقِ في الحديث.

---

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف من حديث أبي أمامة، وابن أبي الدنيا في الصمت من حديث سعد مرفوعا، وابن عدي في مقدمة الكامل.

فالصدقُ في الحديث أساسٌ لخُلقِ المسلم وفي حياته وفي انتهاجه في نهج الإتباعِ لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم، وضرورةٌ لتخلُّصِه من آفةِ النفاق ومن سببِ الخزي وحصولِ اللعنةِ، قال تعالى ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران:٦١] أعاذنا الله تعالى من الكذب وثبَّتنا على الصدقِ في القول ورزقنا الاحتياط في ذلك، فهو سِمة المؤمنين الصادقين المُصدِّقين بما بُعثَ به النبيُّ الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وهو الذي اشتهرَ بالصادقِ الأمين قبلَ أن يُبعث، فما جرَّبوا عليه كذبًا قط في حياته كلِّها، حتى قالوا له حينما دعاهم إذ أمرَه الله تعالى بأن يصدعَ بالأمرِ فيهم ونزلَ قوله ﴿ فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [الحجر:٩٤] أرأيتُم لو أخبرتُكم أن خيلاً وراءَ هذا الجبل مصبِّحتكم أو مُمَسِّيتكُم أكنتم مصدقيَّ؟ فقالوا جميعا: ما جرَّبنا عليك كذبًا قط، نحن نصدقك، فقال: إني نذيرٌ لكم بين يدَي عذابٍ شديد[1].

فيا أيها المؤمن ابذل همَّك ونظرَك إلى صدقِ القول، وربِّ نفسَك عليه وربِّ أولادَك على ذلك في سلوكِك وانتهاجِك منهج الصدق حتى تغرسَ في نفوسهم أنَّ من أفظعِ الفظائع في حياتهم أن يقولوا كلمةً كذبًا، وعلِّمهم أنهم إن رأوا النجاةَ

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة: (تبت يدا أبي لهب وتب) الحديث: (٤٦٧٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب: وأنذر عشيرتك الأقربين (الحديث: ٢٠٨)

في الكذب فإنَّ فيه الهلاك، ولا يكذب أحدٌ ليُنجي نفسَه إلا وَقعَ في ورطةٍ أكبر منها قريباً ولا يطولُ به ذلك غالبا.. فلأجل ذلك وجبَ على المؤمنِ أن يهتمَّ بأن يصدقَ في الحديث، فإنَّ فيه النجاةَ وإن رأى وتخيَّل أنَّ فيه هلكةً فإن الله يُنجي الصادقين سبحانه وتعالى، ولو حصل عليه تعبٌ أو ملامةٌ في حالٍ عوَّضه الله تبارك وتعالى بإصلاحِ أحوالٍ كثيرةٍ وأمورٍ خطيرة.

وفقنا الله للصدقِ ورزقنا التشبثَ به، وطهَّرَ ألسنتَنا عن الكذب، وعما لا يرضيه يا ربَّ العالمين، جنِّبنا ما يوجِب أن ترمَى به الوجوه وتُقذفَ في النار، اللهم حقِّقنا بالصدق واجعلنا من الصادقين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

الصدق في العمل

الحمد لله وليِّ التوفيقِ والهداية، وصلى الله وسلَّمَ على عبدِه ومصطفاه وخيرتِهِ من خلقه، سيدنا محمد المبعوثِ بالعناية، وعلى آله وأصحابه ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ لقاءِ المولى جل جلاله.

أما بعد: فقد سبق الكلام عن الصدقِ في الحديثِ والقول، وأنَّ ذلك مُهمٌّ في حياةِ المسلم وواجبٌ أن يربيَ عليه أهلَ بيته وأن يعلِّمهم أنَّ النجاةَ فيه، وأنه يقتدي في ذلك بنبيِّ الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويتخلص من آفةِ النفاق. ولا يزال يظهر أثر ذلك على بقيةِ أعضائه وبقيةِ معاملاتهِ في هذه الحياة، فيتصل صدقُه في القولِ بصدقه في العمل. بمعنى أنَّ الذي تحرَّى الصدقَ فيما يقول يترقَّى المراقي فيكون صادقًا في الفعل وفي النية حتى يصل إلى مراتبِ الصدِّيقيَّة، كما شهدَ الحديث الصحيح عن النبي محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم « **ولا يزال الرجلُ يصدق ويتحرى الصدقَ حتى يُكتبَ عند الله صِدِّيقا** »[1] فيأتي الصدقُ في العمل ثمرة من ثمرات الصدق في القول.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تفسير قوله الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (الحديث: ٥٧٤٣) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله (الحديث: ٢٦٠٧)، وأبو داود في كتب الأدب، باب التشديد في الكذب (الحديث: ٤٩٨٣) والترمذي في كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب (الحديث: ٢٠٣٨).

معنى الصدق في العمل:

الصدق في العمل أن يعمـلَ العمـلَ خالـصًا لوجـهِ ربـه وأن يُحـسِنَه ويتقنَـه ويجتمعَ عليه بجميعِ قواه إذا عمل..

الـصدقُ في العمـل يقتـضي إحـسانَه ويقتـضي أداءَه عـلى وجهـه، ويقتـضي الإخلاصَ فيه فكما أنَّ الصدقَ يكونُ في الحديث فالصدق يكونُ في العمل كذلك. فكم من مُصلٍّ صادق وكم من مُصَلٍّ كاذبٍ في صلاته، والـصوم يكـون صـاحبُه صادقًا ويكون صاحبُه كاذبًا في صيامه، فإذا صامَ ثم نظرَ نظرةَ الحرام وأخذ يُعمِل نظرَه بالشهوة ونظرَه باحتقارِ المسلمين فهو كاذبٌ في الصوم وهو الذي أشار إليـه المصطفى بقوله ((**من لم يدع قولَ الـزور والعمـلَ بـه فلـيس لله حاجـةٌ في أن يـدعَ طعامَه وشرابَه**))[1] هذا مظهرٌ للصدق في العمل.

الصدق في العمل: أداؤه على وجهه بإحسانٍ وإخلاصِ القـصدِ فيـه لوجـهِ الله تبارك وتعالى، الصدق في العمل يرفعُ المؤمنَ إلى مراتـبِ الـصدِّيقية، فالـصادقُ في فعل الصلاة يُحسنُ وضوءها ويحسن طهارتَها، إن كـان عليـه حـدث أصـغر أدَّى الوضوءَ على وجهه فلم يُبـقِ لُمعـةً في شيء مـن جوانـبِ وجهـه يقـصرُ المـاء عـن

(١) رواه البخاري كتاب الصوم، باب من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم (الحديث: ١٨٠) عن أبي هريرة. والترمذي في أبواب الصوم، باب: ما جاء في التشديد في الغيبة للصائم (الحديث: ٧٠٢)، وابن ماجه في كتاب الصيام، باب: ما جاء في الغيبة والرفث للصائم (الحديث: ١٦٨٩)

الوصول إليها، ويتفقّد المعاطفَ عند وضوئه وما يغفلُ عنه الماء كالماقين واللّحاظَين وما تحت الأنف، كذلك لا يُبقي لمعةً من عند طرفِ الأصابع إلى المرفقين فإن كان تحت أظفارِه وسخٌ أزاله.

وكذلك ينتبه مِن غسلِ القدمين وقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم بعضَ الأعقاب-وهو مُؤخَّر الرجل- لم يصِل إليه أثرُ الماء عند وضوء الصحابة في بعض الأسفار، فنادى بأعلى صوته «ويلٌ للأعقاب من النار»[1] فإحسان الوضوء من الصدق في الصلاة.

الصدق في أداء الصلاة:

ومن الصدق في الصلاة أداؤها في وقتها والحرص على السنن والآداب فيها وعلى الجماعة فيها، وأن يتكلّف حضورَ قلبه مِن أولها إلى آخرها وأن يتهيأ أن لا ينطق بـ الله أكبر إلا وهو مستقِرٌ في قلبه أن لا كبيرَ إلا الله، فيتَناسى كلَّ صغير أمام عظمةِ العلي الكبير الذي يقفُ بين يديه.

فإن قال وجهتُ وجهي للذي فطرَ السموات والأرض فيقول ذلك وهو مُتوجِّهٌ بقلبِهِ إلى الله حتى لا يكذبَ فيما يقول وجَّهت وجهي للذي فطر السموات - أي خلق السموات - والأرض حنيفاً مسلماً وما أنا من المشركين.

---

(١) رواه البخاري في كتاب العلم، باب من رفع صوته بالعلم (الحديث: ٦٠) ومسلم في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل الرجلين بكمالهما (الحديث: ٢٤٠) وابن ماجه في (الحديث: ٤٥) عن ابن عمرو وأبي هريرة وعائشة.

وهكذا لا يزال صادقاً في صلاته إذا ركع أحسن الركوع وأطمأنَّ راكعاً، وإذا اعتدل استوى قائمًا واطمأنَّ قائما، وإذا سجدَ أحسنَ السجود ووضعَ الأعضاءَ السبعة على الأرض، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**أمرتُ أن أسجدَ على سبعةِ أعظم**))[1]، وسبقَ قلبُه جسدَه في السجود لله تعالى والتذلل لعظمته.

وهكذا لا يزال يصلي بعيداً عن الالتفاتات والعبث، فهو خلسة وسرقة يسرِقها الشيطانُ من صلاة العبد، وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام: ((**إذا قام الرجل في الصلاة أقبل الله عليه بوجهه، فإذا التفتَ قال: يا ابن آدم إلى من تلتفت؟ إلى من هو خير مني؟ أقبِل إلي. فإذا التفتَ الثانية قال مثل ذلك، فإذا التفتَ الثالثة صرف الله تبارك وتعالى وجهه عنه**))[2].

فينبغي أن يكونَ مُتحلِّيًا بالخشوع في صلاته وهذا هو الصدق في الصلاة، قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴾ [المؤمنون:١،٢]، فهذا مثال للصدق في الصلاة.

---

(١) رواه البخاري في كتب صفة الصلاة، باب السجود على سبعة أعظم (الحديث: ٧٧٧)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب أعضاء السجود (الحديث: ٢٢٧) وأبو داود (الحديث: ٩٧) والنسائي (الحديث: ١٠٩٠) وابن ماجه (الحديث: ٨٨٣) عن ابن عباس.

(٢) رواه البزار عن جابر، وفيه الفضل بن عيسى الرقاشي وقد أجمعوا على ضعفه.

كذلك يلازم الصدقُ كلَّ عملٍ من أعمالك حتى في بيعِك وشرائك وأخذِك وعطائك ومعاملتك لأهلِك إلى غير ذلك من أعمالك، فالصدقُ فيها أن تُحسِنَها وتُؤدِّيها على وجهها وتُخلِص القصدَ فيها لوجهِ الله تعالى.

رزقنا الله الصدقَ في أقوالنا وأفعالنا ونياتنا ومقاصدنا حتى يُلحِقنا بالصديقين إنه أكرم الأكرمين.

اللهم اجعلنا من الصادقين، واجعلنا اللهم في الصديقين، وثبِّتنا على ما تحب وترضى منا في القول والفعل والنية.. يا أكرم الأكرمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

والحمد لله رب العالمين.

صدق النية والمقصد

الحمد لله أهل الحمد، وصلاتُه وسلامُه على حبيبِه أكرمِ عبد، سيدنا محمد وآله وأصحابه ومن سارَ على منهجه إلى يوم الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فقد سبقَ الحديث عن صدق القول والصدق في العمل.. وقلنا إنَّ الصدقَ كما أنه يتناولُ القولَ والحديثَ، وهو أساسٌ في اتساع معنى الصدق فكذلك يتناولُ الأعمالَ ويتناول النوايا والمقاصد عند المؤمنين، وذكرنا تناولَه للأعمال بأن يكونَ العملُ قائمًا على وجهه وِفقَ الشريعة المطهرة يستنفذ صاحبُه فيه وِسعَه في إحسانه وإتقانه.

وأشرنا إلى مسألة الإخلاص فيه لوجه الله الكريم.. وهو صدق النية والمقصد، فالصدق في الأقوال الذي يتبعه تحقيق الصدق في الأفعال يُفضِي إلى تحقيقِ الصدقِ في النيةِ والمقصد.

وهذا محلُّ اصطِفاءِ من الواحد الأحد يصطفي أصحابَه، وقد أثنى عليهم في كتابه ورفعَ شأنَهم جل جلاله فيما جاءنا من بيانه وخطابه، شأن الصادقين الذين أمرَ المؤمنين أن يكونوا معهم، قال تبارك وتعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩]

مظاهر الصدق في النية:

الصدق في النية: إخلاصُها لوجهِ الله الكريم، الصدقُ في النية أن يخلصَ العاملُ في عملِه، في قصدِه، فيكون قصدُه صحيحًا فيما يبدو مِن عمله وفيما يبدو من قوله كذلك.. فقد يتكلم بكلامٍ حسنٍ جميل ويكون المقصدُ فيه غير حسنٍ أو غير جميلٍ أو تكون السريرةُ منطويةً على خِلافِ ما تُبدي اللسان، فحينئذٍ لا ينفع صدقُ القول مع كذب النية وعدم الصدق فيها، بمعنى أنه قد يثني على من يستحق الثناءَ من المؤمنين ولكنه يطوي في قلبه بغضًا له أو سوءً وإنما اضطره إلى مدحه شيءٌ من المقاصد ومن الأغراض.. فهذا هو فساد المقاصد والنوايا وكذبها، فهو يبدي خلافَ ما يُبطن فحينئذٍ يكون القصدُ مخالفاً للقول.

وكذلك قد يكون مخالفًا للعمل فيما يُظهِر من الإكرام، أو فيما يُظهِر من الاحترام لمن حواليه. فالمطلوب من المؤمن الصدق الذي يعمُّ أحوالَه ويتابعُه في شؤونه حتى يدخلَ دائرتَه التي ترفعه إلى مراتب الصدِّيقين.. يقول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: ((**ولا يزال الرجل يصدقُ ويتحرى الصدقَ حتى يكتبَ عند الله صدِّيقا**))[1]

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب تفسير قوله الله تعالى: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين (الحديث: ٥٧٤٣) ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله في (الحديث: ٢٦٠٧)، وأبو داود في كتب الأدب، باب التشديد في الكذب (الحديث: ٤٩٨٣) والترمذي في كتاب أبواب البر والصلة، باب ما جاء في الصدق والكذب (الحديث: ٢٠٣٨)

ومن هنا كان بعضُ أهل المعرفة من أهل الدين إذا خاطبَ أولادَه الصغار في البيت فأراد أن يُسِرَّ قلوبَهم أو يُفرحَهم فإنه يأتي لهم بشيء يشتريه من الألعاب أو غيرها، ولا يقول له سأشتري لك كذا أو سآتي لك بكذا، ولكن يقول كيف ترى لو جئتُ لك بكذا، وكيف ترى لو أحضرتُ لك كذا، خشيةَ أن يصدرَ منه القول سآتي بكذا أو كذا ثم يتخلّفُ العملُ عنه فيكون القصدُ وقتَ الكلامِ غيرَ مطابقٍ للكلام، فلأجلِ هذا تحرَّز عن ذلك وصار يتَّقي الحقَّ تعالى ويتورَّع في إيرادِهِ الكلام مع أطفاله وأهلِ بيته الصغار فضلاً عمَّن سواهم.. فهذا مظهر للصدق.

أثر الصدق في النية على الأقوال والأفعال:

مظهرُ الصدقِ في النية والقصدِ من شأنه إقامةُ الصدقِ في القولِ وفي الفعلِ على وجهِهِ، كما أنَّ الصدقَ في القول سُلَّمٌ إلى الصدقِ في الفعل، والصدقُ في الفعلِ سلَّمٌ إلى الصدقِ في النيةِ والمقصد، إلا أنَّ النيةَ والمقصدَ ينعطفُ صدقُهما على الأقوالِ كلِّها وعلى الأفعالِ كلِّها فتُقيمهما على وجهِهما الأمثل، فالقول والفعل يستقيمان على الوجه الأمثل في الصدق إذا استقامت النية مع الله تبارك وتعالى.

وفي الحديث أنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم سُئِلَ عن الرجل يقاتل شجاعةً، والرجل يقاتل حميةً، والرجل يقاتل كي يُرى مكانه.. أيهم في سبيل الله؟

فأجاب إنَّ صاحبَ صدقِ النية هو في سبيل الله بقوله ((**مَن قاتلَ لتكونَ كلمةُ الله هي العليا فهو في سبيلِ الله**))[1].

فحينئذٍ ينبغي لكلِّ مؤمنٍ ويتأكدُ عليه أن يتطلَّبَ معانيَ الصدق وتحقيقَها في أقوالِه وفي أفعالِه وفي أحواله؛ وما شأن الذي يمر به العمرُ لا يبالي بِخَلسةِ الكَذبةِ منه في القول ثم في الفعل إلا شأن الغافل عن ربه، إلا شأن الذي لا يبالي بصلاحِ قلبه، إلا شأن الذي لا يستعدُّ لآخرته.. فينبغي أن يرفعَ المؤمنُ نفسَه عن هذا المستوى.

وإلى الصدقِ في الفعلِ والقولِ يشيرُ قولُ الحقِّ تبارك وتعالى عن المهاجرين الذين هاجروا مع نبينا محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم بقوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ ﴾ فهجرتُهم وذهابُهم وسعيُهم هذا صدقٌ في الفعل، قال ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾ وهذا هو صدقُ النية وصدقُ المقصد ﴿ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر:٨] شَهد لهم الحقُّ تعالى بالصدقِ عليهم رضوان الله.

وقد خُوطِبنا أن نكونَ مع الصادقين، وفي هذا بيانٌ للأمة في احترامِ الصحابة الكرام مِن المهاجرين ومِن الأنصار الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما قال

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (الحديث: ٢٦٥٥)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب: من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (الحديث: ١٩٠٤)

جل جلاله في كتابه، فقد أمرنا أن نكونَ مع الصادقين، ويبينُ هذا المعنى قولُ الله تبارك وتعالى ﴿ لَقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ﴾ [التوبة: ١١٧] يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ فأثبتَ الإتباع للمهاجرين وللأنصار مع النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فالله يرزقنا كمالَ الصدق واتباع الصادقين والدخول في دوائرهم إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

ألا أيها المؤمن تنبه .. ألا أيها المؤمن تفطَّن .. ألا أيها المؤمن توجَّه في إقامة الصدقِ على وجهِه في أقوالك وفي أفعالك وفي مقاصدك ونياتك.. حتى تدخلَ دوائرَ الصادقين الذين يرفعُ مراتبَهم ربُّ العالمين جل جلاله.

اللهم اجعل مستقرَّ حقائقِ الصدقِ قلوبَنا ومستقر أربابِ الصدقِ ديارَنا حتى تكونَ بيوتُنا ومنازلُنا وتكون محافلُنا وتكون أسَرُنا محطًّا للصدق، وصفةُ الصدق بارزة فيها على الوجه الذي تحبه يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

الرحمة

الحمد لله أبلغ الحمد وأتمّه على كلّ حال، وصلى الله وسلمَ على نبيه المصطفى محمدٍ وآله وصحبه خيرِ صحبٍ وآل، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يوم المآل.

أما بعد: فإنه ما تزالُ أخلاقُ الإسلام بالمسلم تصفّيه وتُنقّيه وتطهّره وترفعُ مرتبتَه حتى يتَهيّأ لِمرافقَة النبي المصطفى أحسن الناس خَلقا وخُلُقا صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، ولقد جاءنا في حديثه الصحيح «**إن من أحبّكم إليَّ وأقرَبِكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقاً**»(١) وفي رواية «**أحبكم إلي وأقربكم مني مجلساً يوم القيامة أحاسنُكم أخلاقًا الموطَّؤون أكنافا**»(٢) وقال عليه الصلاة والسلام: «**إنَّ من خيارِكم أحاسنُكم أخلاقاً**»(٣).

ولا تزال أخلاق الإسلام بالمسلم ترفع مرتبتَه، ترفع مقامَه، ترفع منزلتَه، تُعلي مكانتَه، تُطهّره وتصفّيه حتى يتهيأ للدرجات العلى، والقرب من الحق تبارك وتعالى وخير الملأ ..

---

(١) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب: ما جاء في معالي الأخلاق (الحديث: ٢٠٨٧) وقال: حديث حسن غريب، ورواه البيهقي في شعب الإيمان عن ابن عباس.

(٢) رواه الطبراني عن أبي هريرة.

(٣) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: حسن الخلق (الحديث: ٥٦٨٨)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب: حيائه صلى الله عليه وسلم (الحديث: ٢٣٢١).

ألا فليحرص المؤمن عليها فإنَّ الأخلاقَ الفاضلة مرتبطٌ بعضها ببعض. وبعضها يقوِّي بعضا، وبعضها يثمر بعضاً، ويرسخ المعنى في نفس المؤمن وقلب المؤمن وحياة المؤمن.

وقد سبق الحديث عن جملةٍ من الأخلاق النبوية الكريمة الفاضلة التي دعانا إليها دينُ الله تبارك وتعالى على لسانِ المصطفى محمدٍ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وقد سبق الكلام عن معاني الصدق ووجود الأثر فيه، وإنَّ مِن مظاهرِ ذلك الصدقِ انطواءُ القلبِ على الرحمة التي تورِث الملاطفةَ في القول، واللطفَ في المعاملة.

الرحمة وصفٌ في القلب إذا انبعثَ فيه حمَلَ صاحبَه على الرقَّة وحلاَّه بالرأفة فأخذَ يشقُّ عليه ما يشقُّ على المسلم، ويُفرِحه ما يُفرِح المسلم، ويُحزِنه ما يحزِن المسلم، ويصبح بذلك حريصاً على نفع المسلمين وعلى خدمة المسلمين وعلى أداء حقوق المسلمين وعلى السعي في مصالح المسلمين.

خُلق الرحمة الخلق الذي وصف الله به نبيَّه المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في كتابه في قوله تبارك وتعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة:١٢٨]..

وقال عن رسالته: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧] وهو القائل صلى الله عليه وآله وسلم: « **الراحمون يرحمُهم الرحمنُ تبارك وتعالى** »[1].

وإذا أُودِعت الرحمةُ قلبًا اقتضت معانٍ من الملاطفة، معانٍ من اللطف، معانٍ من الإحسان، معانٍ من الحرص، معانٍ من الشفقة.. أعني الحرصَ على منفعةِ الخلق وخدمةِ الناس بما قدرَ عليه.. فما أعظمَ أخلاق هذا الدين.. اللهم حلّنا بها وحقّقنا بحقائقها برحمتك يا أرحم الراحمين.

آثار خلق الرحمة:

خلقُ الرحمة إذا تمكّن في القلب ظهرت آثارُ الملاطفة في الفعل والقول، فتجد الرحيمَ ملاطفاً لمن حواليه، هيّناً ليّناً سهلاً يحرص على منفعة الغيرِ وعلى مصلحته أكثر من حرصه على مصلحته الشخصية ومنفعته الذاتية لما أُودِع قلبُه من الرحمة، فيتوفر حظُّه من رحمة الرحمن جل جلاله لأنَّ الجزاءَ من جِنس العمل. فمن رَحم عبادَ الله من أجلِ الله رَحِمَه الله تبارك وتعالى.

فعلى المؤمن أن يتفقَّد نفسَه في خُلق الرحمة والثبات عليها، ورحمته بالصغير والكبير وخصوصاً أهل الضَّعف وأهل الفقر وأهل المسكنة وأهل العاهات وأهل النَّكبات من المسلمين.. وفي الحديث « **ثلاثٌ من كنَّ فيه فقد وُقي شُحَّ نفسِه: من**

---

(١) رواه أحمد وأبو داود في كتاب الأدب، باب الرحمة (الحديث: ٤٩٤١) والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الناس (الحديث: ١٩٨٩) وقال: حديث حسن صحيح.

أدى الزكاة، وقرى الضيف، وأعطى في النائبة))[1]. إعطاؤه في النائبة: انبعاثٌ من الرحمة، فإذا نابت مسلماً نائبةٌ من النوائب انبعث ليساهمَ ويساعدَ في المواساة في النائبة وتخفيف ثِقلها.

وصفُ الرحمة خُلقٌ من أخلاقِ الإسلام جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فعلَّمنا حقائقَه ومعانيه، وقد وصف الله أصحابَ النبي بالرحماء فقال تعالى: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح:٢٩].

ورفع الحقُّ تعالى شأنَ وصفِهم هذا من الرحمةِ إلى بلوغِ مراتبِ الإيثارِ فقال:

﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩].

هذه شهادةٌ عُظمى من الرب لسادتنا الأنصار وهم القبيلتان اليمانيتان اللتان هاجرَتا إلى المدينة المنوَّرة فتلقَّيَتا رسولَ الله هناك بعد أن استَوطنتا طيبةَ الطيبة التي طابت برسول الله، الذين سبقوا إلى الإيمان به وقاموا بحقِّ نصرته عليهم رضوان الله، شَهد الله تعالى لهم بالفلاح، وهو الفوز في الدنيا والآخرة وأثنى عليهم في كتابه، وذكر وصفَ الإيثار الذي هو نتيجة قوة الرحمة وتَمكُّنها من القلب.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن خالد بن زيد بن حارثه، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد كتاب الزكاة، باب فيمن أدى الزكاة وقرى الضيف (الحديث: ٢٣٦٤) وقال في الإصابة: إسناده حسن.

تعدُّد مظاهر الرحمة في الشريعة:

جاءت الشريعةُ بالرحمة للصغير والكبير، جاءت الشريعة بالرحمة حتى للحيوانات، جاءت الشريعة بالرحمة لكل ذي كبدٍ رطبة[1] وجعل الأجرَ في مواساتها إلى حدودٍ أن ذكرت لنا الشريعةُ أن امرأةً كانت بَغِيًّا من بني إسرائيل، ولكنها رحِمَت كلباً من الكلاب في يوم من الأيام وترجمت الرحمةَ بِعمَلٍ صدقت فيه، فَرحِمَها الله وغفر لها وسامحها وتابَ عليها ووفَّقها لحسن التوبة، يقول عنها صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم كما جاءنا في الصحيحين: أنها اشتدَّ بها العطش فلم تجد إلا بئراً ليس عليها دلو ولا رشا فخرجت ثم طلعت فإذا بكلبٍ يلهثُ حوالي البئر فأخذ يضع لسانَه في الندوة، فقالت والله أصاب هذا الكلب من العطش مثل الذي أصابني، فرجعت إلى البئر مرة أخرى وأخرجت خفَّها من رجلها فملأته بالماء ووضعتهُ في فيها وأمسكته به حتى ارتفعت وسقت ذلك الكلب فغفر الله تبارك وتعالى لها[2].

---

(١) كما ورد عنه صلى الله عليه وآله وسلم (في كل كبد رطبة أجر) رواه البخاري كتاب المساقاة، باب فضل سقي الماء (الحديث: ٢٢٣) ومسلم في كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (الحديث: ٢٢٤٤).

(٢) أصل هذا القصة في البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه (الحديث: ٣١٤٣)، ومسلم في كتاب السلام، باب فضل سقي البهائم المحترمة وإطعامها (الحديث: ٢٢٤٥) .

وقد ورد عن كبشة بنت كعب بن مالك وكانت تحت ابن أبي قتادة أن أبا قتادة صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل فسكبت له وضوءاً، فجاءت هرة فشربت منه فأصغى لها الإناء حتى شربت، قالت كبشة: فرآني أنظر إليه فقال أتعجبين يا ابنة أخي؟ فقلت: نعم، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((**إنها ليست بنجس إنها من الطوَّافين عليكم والطوافات**))[1] أي إنها تقوم ببعض الخدمة في البيت.

وامتلأت سيرة النبي صلى الله عليه وسلم بملاطفاته بالصغير والكبير عليه الصلاة والسلام حتى لما رآه الأقرع بن حابس وهو يقبِّل بعض الأطفال قال: يا رسول الله إن لي من الولد عشرة ما قبَّلت أحداً منهم، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**أو أملكُ لك أن نزعَ الله مِن قلبِك الرحمة**))[2] ولا تُنزَع الرحمةُ إلا من شقي.. فصلى الله على المبعوث بالرحمة وخلَّقنا الله بِخُلُق الرحمة.. أسأل اللهَ أن يوفِّر حظَّنا من الرحمة إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الطهارة، باب سؤر الهرة (الحديث: ٧٥) والترمذي في كتاب الطهارة، باب ما جاء في سؤر الهرة (الحديث: ٩٢) وابن حبان في صحيحه والحاكم في المستدرك، والطائف هو الذي يخدمك برفق وعناية، وجمعه الطوافون.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (الحديث: ٥٦٥١)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته صلى الله عليه وسلم للصبيان والعيال (الحديث: ٢٣١٧).

إدخال السرور على قلوب المسلمين

الحمدُ لله الرحيمِ الرحمن، ذي الجودِ والامتنان، وصلى الله وسلم على المصطفى من عدنان، وآله وأصحابه ومن سار على منهجهم من أهل الإحسان إلى يوم وضعِ الميزان، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فإن أخلاقَ الإسلام تأخذُ بالمسلم نحو الجادَّة في الاستقامة حتى يتهيأ لأعظمِ كرامةٍ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠] تحدثنا سابقًا عن بعض معاني الرحمة التي لا يتَّسع لمعانيها أوقاتٌ يسيرة ولا دروسٌ معدودة، ولكن الإشارةَ إلى عظيمِ تلك الأخلاق والالتفاتِ نحو عظَمتِها يكفي المؤمن بأن يتشبَّث بحبل الاتِّصاف بها ويحرص عليها، وحينئذ يُكرم بما يقابله به الحقُّ تعالى من أثرِ الإقبال منه على الله عز وجل.

من ثمار الرحمة إدخال السرور على القلوب:

إذا انبعثت الرحمةُ في قلب المؤمن أثمرت الحرصَ على إدخال السرور على القلوب فتجدُ المسلم حريصًا في أحواله المختلفة على أن يسرَّ قلبَ مَن حواليه ويتسابق إلى إدخال السرور على المسلمين رجاءَ أن يَسُرَّه بارئه وخالقه في حياته وعند مماته وبعد مماته، وقد جاءنا في الحديث عنه صلى الله عليه وآله وصحبه

وسلم «مَن لقي أخاه المسلمَ بما يحب ليسره بذلك سرَّه الله يوم القيامة»[1]، وقال صلى الله عليه وسلم: «ما مِن مؤمنٍ أدخلَ على مؤمنٍ سرورًا إلا خلقَ اللهُ من ذلك السرورِ ملكًا يعبد اللهَ ويمجِّده ويوحِّده، فإذا صار المؤمنُ في لحدِهِ جاء السرورُ الذي أدخلَه عليه فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: مَن أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان، أنا اليوم أونسُ وحشتَك، وألقِّنك حجَّتك، وأثبتك بالقولِ الثابت، وأشهد بك مشهدَ القيامة، وأشفع لك من ربك، وأريكَ منزلَك من الجنة»[2].

فالحرص على مَسرَّةِ خواطِر المسلمين وجبرِ خواطِرهم وإدخال الفرح عليهم خُلقٌ من أخلاق الإسلام جاء به المصطفى صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله فكان مثالاً أعلى في ذلك، يظن جليسُه أنه أكرمُ الخلق عليه[3] لِما يرى من ملاطفته ومؤانسته وحسن إدخاله السرور على قلب من حواليه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

امتلأت سيرتُه الشريفة بأخبارِ تلك الملاطفات وتلك المؤانسات منه عليه الصلاة والسلام، فعلَّمَ أصحابَه كيف يُدخِلون السرورَ في قلوب من حواليهم من المؤمنين ويحرصون على ذلك، حتى جاء في الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال

(١) رواه الطبراني في الصغير عن أنس بن مالك وإسناده حسن.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج .

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل من حديث سيدنا علي.

لأبي هريرة: ((**لأن تمشي في حاجةِ مسلمٍ فتقضيها خيرٌ مِن أن تعتكفَ في مسجدي هذا عشر سنين**))[1] خيرٌ من أن تعتكف في مسجدي هذا عشر سنين إدخالك السرور على قلبِ مسلمٍ بالسعي في قضاءِ حاجته.

ومن هنا تقرَّب المتقربون إلى الله من خيار المسلمين في الأوقات المختلفة بقضاء حوائجِ المسلمين وإدخال السرور على قلوبهم على وجه الصدق بمعناه، إذا تكلموا معهم تكلموا بما يُدخلُ السرورَ عليهم، وقلوبُهم ملآنة بما قالوا فلا تزال نواياهم خيراً من أعمالهم كما جاء في الحديث ((**نية المؤمن خيرٌ من عمله**))[2] قد يعمل المنافقُ عملاً ولكن نيتَه سيئة ولو كان العملُ سيئًا كانت النية أسوأ، ويعمل المؤمن عملاً فتكون نيتُه أحسنَ ولو كان العمل حسنًا فنيَّته أحسن من هذا العمل لأنه يَوَدُّ أنه عملَ أكثر وأنه أدَّى أوفر ولكن الذي في وسعِه بذَله.

فهذا شأن الصدقِ في الرحمةِ المُتفرِّع عنه الحرصُ على إدخال السرور على قلوب من يُجالسنا ومن يتحدث معنا، لأجل هذا جاء خبر الأهل في الحديث وقال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**خيرُكم خيرُكم لأهله وأنا خيرُكم لأهلي**))[3]،

---

(١) رواه الطبراني والحاكم عن ابن عباس وصححه.

(٢) رواه البيهقي في شعب الإيمان عن أنس، والطبراني في الكبير من حديث سهل بن سعد ومن حديث النواس بن سمعان، وكلاهما ضعيف.

(٣) رواه ابن ماجه في كتاب النكاح، باب حسن معاشرة النساء (الحديث: ١٩٧)، والترمذي في أبواب المناقب، باب ما جاء في فضائل رسول الله (الحديث: ٣٩٨٥) وابن حبان في صحيحه (الحديث: ٤١٧٧) عن عائشة وقال: حديث حسن صحيح.

فكان المثالَ الأعظم في إدخال هذا السرور على قلوب المسلمين، وكان صاحبَ الخلقِ الكريم في بيته وفي منزله وفي معاشرته عليه الصلاة والسلام، يتَّسع بالُه ومجالُه لكل ما يُلاقي أمامَه ولكل من يقابله ولكل من يجالسه ويحدثه، فكان مع نوره الشريف مَن لقيَه بديهَةً - رآه بديهة أي لأول مرة - هابَه، ومن خالَطَه وجالَسَه أحبَّه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، فيظنُّ جليسُه أنه أكرم الناس عليه[1] من حُسنِ ملاطفته وإدخاله المسرة على قلب مَن حواليه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه.

فليحرِص المؤمنُ على إدخالِ السرورِ على قلوبِ الناس، وخصوصا المستضعَفين والكبار في السن والمرضى، فإن ذلك من أعظمِ الأعمال عند الله تعالى وأرفعِها في الدرجة، فلا يفوِّت المسلم هذا الخلقَ الكريمَ الذي دعاه إليه نبيه العظيم.

- وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم،

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة في صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

بر الوالدين

الحمد لله، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ وآله وصحبهِ ومن اهتدى بهداه، وجعلنا الله ممَّن يهتدي بذلك الهدى، ويسلمُ من جميعِ أنواعِ الفتنِ والزيغِ والردى، إنه أكرمُ الأكرمين وأرحم الراحمين.

أما بعد: فإنَّ أخلاقَ هذا الإسلامِ العظيم لا تزال أنوارُها تملأ جوانحَ المسلمِ المستقيمِ، ولا تزال تنوِّر مجالاتِ حياته بِنُورِ اللهِ العظيم، حتى يهدأ له البال، ويتَّسعَ في الاستقرارِ له المجال.

وإنَّ مما جاء عن الكبيرِ المتعال من هذه الأخلاقِ الفاضلة بر الوالدين وهو أمرٌ عظَّمت الشريعةُ شأنه، ورفعَ القرآنُ مكانَه، وتولَّى الحقُّ بنفسه بيانَه. وهو أمرٌ تقومُ به الحياة على وجهها الجميل، في معرفةِ المعروفِ والجميل، بمعنى أنَّ أكثرَ أممِ الكفر التي لم تدخل في الشريعة لا تعرف للوالدين حقًّا إذا كبِرا وإذا ضَعفا.

وإنَّ الكثيرَ منهم مَن يذهبُ بأبيه أو أمه إلى أماكنِ الدولة ليكونَ مع العجَزَة ومع الذين ترعَى دُوَلُهم بعضَ مصالحهم، فيُخرِجُه من بيتِه ويذهبُ به إلى بيتِ الضعَفةِ والعجَزة فيضَعه هناك.

حالهُم مع الآباء هكذا، وانعكَس ذلك أيضًا على الحالِ مع الأبناء.. فكم مِن أولئك الكفار إذا كَبرَ ابنُه، قال: الغرفة التي تسكنُ فيها في بيتي إما أن تدفعَ إيجاراً عليها، أو تخرج لأسَكِّنَ غيرَك فيها وأجرَتها عليه! هذا الذي يعيشونه اليوم، وهذا

الحال الذي يعايشونه اليوم في كثيرٍ من دولهم، بينما تأخذُ بهرجةُ المظاهرِ والزخارفِ عقولَ بعضِ المسلمين فلا يتَصوَّر هذا عن واقعِهم في بلدانهم التي يَصِفُونها بالتقدم مثلا.. حقيقةُ التقدم في تعاليم المؤخِّرِ المقدِّم جل جلاله الذي هو أعلمُ بمصالحِ عبادِه وأعلم بما يرفعُ شأنَ خلقِه.

على أنَّ كثيرًا من الأمم تحملُهم طبيعتُهم وفِطرتُهم على معرفةِ شيءٍ من حقِّ الوالد أو الوالدة، ولكنْ بالاتصال بالإيمانِ وشرعِ الله تعظمُ المنزلة وتأخذ مجالاً غيرَ مجالِها الطبيعي بل مجالٌ معْ الفطرةِ مستقيم.. بسرٍّ لتعظيمِ وتكريمِ شرعَه الذي خلقَ جل جلاله وتعالت عظمته، وعند ضياعِ حقائقِ الإيمان وحُسنِ التربية يفوتُ هذا الخُلق فتحصل الشكوى من عقوقِ الأبناء والبنات وخروجِهم عن الطاعة، وما كل ذلك إلا لأنهم لم يستَقوا شرابَ الإيمان ولم تَحِل في قلوبِهم حقائقُ الإعظام للرحمن جل جلاله، فانعكس على هذا أنهم لم يُعظِّموا الآباء.. لأنَّ مَن عظَّم اللهَ عرفَ أنَّ اللهَ العظيمَ أمرَه بتعظيمِ أبيه وتعظيمِ أمه وبالإحسانِ إليهما كما جاءنا في القرآن بقضى أي بحكمٍ من الله ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ﴾ [الإسراء:٢٣] ثم نصَّ الحقُّ على مرحلةِ الكِبَر.. خصصَ هذه المرحلة بعنايةٍ منه في هذه الآيات، وهذا الذي منه المعاناةُ الكثير اليوم في خارج نطاق المسلمين وفي الضائعين من المسلمين مع آبائهم ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ ﴾ [الإسراء:٢٣] لا تنطق بكلمةِ تضجُّر قط، كبير..

ثقيل ..صَعب مشيُه .. صعب قيامه.. قد يعجز عن القيام، يحتاج إلى أن تأخذَ وسخَه من تحته.. وأن تقدِّم له الطعامَ بنفسك وبيدك.. لا تقل أف، فطالما قد نظَّفوكَ من أوساخِك وصفَّوك عن أقذارِك في صِغرك، وربَّوك حتى إذا مرضتَ كأنَّ المرضَ فيهم دونك، وإذا سهرتَ طارَ النومُ من عيونهم لأجلك، قال تعالى: ﴿ فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ في حالة ضَعفِهما، في حالة عجزِهما إذا قالا أتعبتُك يا ولدي، قلِ القولَ الكريم.. قل يا أبي هذه سعادتي وهذا عزِّي وهذه كرامتي أن أخدُمَك، ويا أمي الجنةُ تحتُ قدمِك، أنا مهما تذلَّلتُ لكِ وجعلتُ رأسي تحتَ قدمك فَلِي العزةُ ولي الشرف ولي جنةُ الله تعالى.

فلا يسمعونَ منك إلا القولَ الكريم ﴿ وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ فوق ذلك قال تعالى: ﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ [الإسراء:٢٤] تدعو لهما، مع هذه الأخلاقِ كلها معهم أنت لا تكتفي بهذا بل تتوجَّه إلى الله أن يجازيَهم عنك إذ ربَّوك وكبَّروك وقد كنتَ صغيراً ﴿ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾.

لذلك لما لقي ابنُ عمرَ حاجًّا من اليمن حملَ أمَّه على ظهرِه فسارَ بها من اليمنِ حتى طافَ بها وسعى بها وأوقفَها بعرفة، وكان يتولَّى شأنَها وتنظيفَها وتوضئتَها وتغسيلَها وجميعَ حاجاتِها، فلقيَه وهو يطوف بها، فقال: يا ابنَ عمر إني عملتُ مع أمي هذه كذا وكذا.. أتراني أدَّيتُ حقَّها الذي عليَّ؟ قال: ولا كل الذي عملتَ

بزفرةٍ من زفراتِها حين ولدَت بك[1]، قال هذا لا يساوي زفرةً من زفراتِها حين الولادةِ بك لو عقَلتَ الأمر.

عظمة منهج الإسلام في تقويم المجتمع:

فما أعظمَ حقِّ الوالدين في هذه الشريعة، وما أعظمَ تقويمِ منهج الإسلام لمجتمعاتِ المسلمين.. يعيش المجتمع ليس مجرد متكافل، بل متكامل، متفاضل يجْنِي بعضُه خيرَ البعض بقسطٍ وعدلٍ وبهاءٍ وأُنسٍ وراحةٍ وفرحٍ وسرور.

فإن كنت طفلاً صغيرًا فهناك أخلاقٌ في الإسلام تعلِّم الكبارَ كيف يربُّون الصغير. وإذا كنت شابًّا قويًّا فهناك أخلاقٌ لك وأخلاقٌ لمن دونك ولمن فوقك يتخلَّقون بها معك.

وإذا صِرتَ إلى الشيخوخة والكِبَر ففي مجتمعِ الإسلام توقيرٌ لك واحترام لأنك قد بذلتَ ماضي عُمرِك بجهدك في المصلحة وفي المنفعة فأنت الآن موضع الاحترام يُجِلُّونك لا لأجلِ شخصِك وذاتك ولكن بعقيدتِهم أنَّ إجلالَك من إجلالِ الله يقول نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: « **إنَّ من إجلالِ الله إكرامُ ذي الشَّيبة المسلم** »[2] .. قال الإمام الحداد:

فالوالدان لهم حقٌّ يقوم به مَن يتَّقي الله والمُدلونَ في النسبِ

---

(١) رواه البزار في مسنده.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب: في تنزيل الناس منازلهم (الحديث: ٤٨٣٥) والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث حسن.

إذن فحقُّ الوالدين من أعظمِ الحقوقِ بعد حقِّ الله ورسولِه صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، لذلك جاء في القرآنِ ربطُ شكرِهما بشكرِه، قال تبارك وتعالى: ﴿ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾ [لقمان:١٤]

البر سلف:

ثم إنَّ هذا البرَّ وكذلك صلةُ الرَّحم - التي تقدَّم الحديثُ عنها- يُعجِّل الله تعالى أثرَهما في الحياة الدنيا قبلَ الآخرة، فلا يقومُ أحدٌ ببِرِّ والديهِ إلا أطالَ اللهُ عمرَه ويسَّر له أولادًا يبرُّونه إذا ما كَبُر، وكذلك العقوق يكون سلفاً كما أن البرَّ سلف.

كذلك قطيعة الرحم و البغي والفواحش والتطلُّع على عوراتِ الغير تُعجَّل عقوبتها عليك في الدنيا، فيُتطَلَّع على بيتك وعلى أهلك وعلى أولادك كما تطلَّعت على بيوت الآخرين، فالبرُّ مع هذه الأمور يُعجِّل خيرُه في الدنيا قبل الآخرة، والعقوق يُعجَّل كذلك في الدنيا قبلَ الآخرة.

كان يتجرَّأ بعض الأولاد على أبيه حتى إذا غضبَ قامَ فسحبَ أباه من المنزل حتى يبلغَ به إلى درَجِ البيت، ثم كبر ومضَتِ الأيام وكبرت سنُّه، فكان أولاده شديدي التعامل معه فكانوا قد يحملونه أحيانًا فيسحبونَه حتى يجاوز المكان ويمشي في الدرج، فكان إذا وصلوا إلى هذا المكان يقول كنت أسحبُ جدَّكم إلى هنا فقفوا!! فيقولون: ذاك رأسُ المال والزائد ربح فنحن نزيدك فوقَ هذا، فيزيدونه فوق ما قد صنعَ بأبيه، والجزاء من جنس العمل.

وفي الحديث يقول عليه الصلاة والسلام: «ما من ذنبٍ أجدر أن يعجِّل اللهُ بعقوبته من البغيِ وقطيعةِ الرحم»[1].

اللهم وفقنا للبر واسلك بنا مسلكَ البارِّين، واجعلنا من الهداة المهتدين، واجعل أبناءنا بررةً وكرامًا خيَرة.. برحمتك يا أرحم الراحمين.

اللهم بارك في أولادنا ولا تضرهم، ووفّقنا ووفّقهم لطاعتك وارزقنا برَّهم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

الإحسان إلى الجيران

الحمد لله المحسنِ المتفضلِ المنعِم، وصلى الله وسلَّم على نبيِّه محمدٍ الذي بُعثَ لمكارمِ الأخلاق يتمّم، وعلى آله وأصحابه ومن سارَ على منهجِه من كلِّ منيبٍ أوّابٍ مسلم.

أما بعد: فقد تقدم الكلام عن أخلاقٍ من أخلاق الإسلام العظيم .. أخلاقٍ عظيمة من أخلاق الإسلام العظيم. الصبر على التحلِّي بها والرسوخِ فيها يسيرٌ وقصيرٌ في هذه الحياة، ونتائجُها وثمارُها في الحياةِ وبعدَها كبيرٌ وعظيمٌ وجليلٌ وواسع.

وقد جاءتنا الشريعةُ بخلقِ الإحسانِ إلى الجيران وأوجبَت حقَّ الجوار على كل مسلمٍ جاورَه أحد، ولو كان المجَاوِرُ كافرًا بمعنى إذا كان من أهل الذمة الذين دخلوا إلى بلادنا بذمةٍ وسكنوا في بلادنا بأمانٍ فجاوروا بيوتَنا يجب أن نعطيَهم حقَّ الجوار، فإذا كان مسلماً تضاعفَ الحق، فإذا كان من القرابة كان حق الإسلام وحق الجوار وحق القرابة فتضاعف الأمر والحق لذلك الجار، يقول نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما زال جبريلُ يوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورِّثه**»(١) أي سيجعلُ له حقًا في الميراثِ من تركةِ جاره.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: الوصاءة بالجار (الحديث: ٥٦٦٩)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: الوصية بالجار والإحسان إليه (الحديث: ٢٦٢٥).

عظمة حق الجار والترهيب من تضييعه:

ما أعظمَ الحقَّ للجار، وقد نفى النبي الإيمانَ عمن كان جيرانه لا يأمَنون بوائقَه، ومعنى بوائقه: شروره وغوائله، إذا كان الجار لا يأمنُ من جارِه أنه يمكرُ به أو يؤذيه أو يتطلَّع عليه أو يؤذي أولادَه أو يفتنُ عليه إلى غير ذلك فليسَ ذلك الجار بمؤمنٍ بشهادةِ النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وحلِفِه بالله قال « **والله لا يؤمن** » وردَّدها « **والله لا يؤمن** » وردَّدها « **والله لا يؤمن** » قالوا من يا رسول الله؟ خابَ وخسر، قال: «**من لا يأمن جارُه بوائقَه**»[1]، وقال في شأن التفقُّد للجيران «**والله لا يؤمن من باتَ شبعان وجارُه إلى جنبه جائع وهو يعلم به** »[2] ولأجل ذلك وجبَ على المسلم أن يتفقدَ جيرانَه ويتحسَّسَ مِن أحواله .

اهتمام الأخيار بالإحسان إلى جيرانهم :

ضرب المثلَ في ذلك بعضُ الكُبرَاء من المؤمنين حتى استحيى الجيران من كَثرةِ ما يعطيهم، كان يعيشُ في القرن السابع فكان الجيران من كثرةِ ما يعطيهم يستحيون فلا يريدونَ أن يشعرَ في بعضِ الليالي أنهم بلا عشاء، فيستعملون حيلةَ أن يُوقِدوا التنُّور بالحطب فتشتعل النار ولا شيء عندهم من الطعام يخبزونَه حتى يطمئنَّ الجارُ الذي استحيَوا من كثرةِ ما يعطيهم، يطمئنُّ أنَّ عندهم عشاء حتى

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: من لا يأمن جاره بوائقه (الحديث: ٥٦٧٠) ومسلم في كتاب الإيمان، باب: تحريم إيذاء الجار (الحديث: ٤٦) عن أبي شريح.

(٢) رواه الطبراني في الكبير و البزار بإسناد حسن.

صادفَ أن سألَ يومًا بعضَ أطفالِهم قال: ما تعشَّيت البارحة؟ قال ما عندنا عشاء، قال لقد رأيتُ النارَ تشتعلُ في تنُّوركم! قال إنما يفعل ذلك أهلُنا حياءً منك، فشقَّ عليه الأمر وأتى يناشدُ جيرانَه ويقول: لستم في حِلٍّ مني.. توقعوني في هذه البليَّة، أي ليلة أنتم بلا شيء فبَيتي لكم بيت، خذوا منه ما تشاءون ولا أُحلُّ لكم أن تبيتوا ليلةً بلا عشاء قط ونحن بجواركم. فلم يزل يفعل كذلك مع الجيران[1].

وهذه آثار الإيمان التي تصنعُ بأصحابها كذلك.

من حقوق الجار:

فحقُّ الجارِ أن يتفقَّد جارَه حتى لاحظَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أنه إذا اشترى لأهلِ بيتِه هديةً من لُعَبٍ وغيرها لأطفالِه أن لا يخرجوا بها إلى الشارعِ فيراها أطفالُ الجيران فيرجعون إلى آبائهم يريدونَ مثلَها وقد لا يقدرونَ على ذلك.. بل قال: ((**وإذا اشتريتَ فاكهةً فاهدِ له، فإن لم تفعل فأدخِلها سرًّا ولا يخرج بها ولدُك ليغيظَ بها ولده، ولا تؤذِه بقِتارِ قِدرِك[2] إلا أن تغرَف له منها**))[3] فإما أن تطعمهم منه أو لا تجعلهم يشمُّون رائحة الطعام الذي لا يقدرون عليه.. إلى هذه الحدود في رعاية حق الجيران كان يشير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) وهو الإمام عبدالله بن علوي باعلوي المتوفى بتريم سنة ٧٣١هـ

(٢) قتار قدرك: هو ريح القدر والشواء ونحوهما.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان باب:إكرام الجار (الحديث: ٩٥٦٠)، والطبراني في الكبير عن معاوية بن حيدة، والخرائطي في مكارم الأخلاق، وابن عدي في الكامل وهو ضعيف إلا أنه يتقوى بمجيئه من طرق متعددة.

ما أكثر ما يهملُ المسلمُ هذه الحقوقَ لجيرانه ويعيشُ كثيرٌ من المسلمين إلى حدٍّ أن لا يعرفَ جيرانَه مَن هم كما هو حال بعض المدنيَّاتِ التي طغَت على الأخلاقِ الفاضلات، فتجدُهم في عمارةٍ واحدةٍ يسكن مسلمون مِن بلادٍ مختلفة فلا يتعارفونَ ولا يتزاورون، وربما كان مسكنُ هذا بمقابل مسكنِ الآخر، هذا في شقة وهذا في شقة وبينهما بُعدُ الشُّقة، بَعُدَت عليهم الشقةُ والمسافة حتى ربما ماتَ الجارُ ولم يعرف الجارُ بموته ولم يحضر جنازتَه ولم يشهدها، وشهودُ الجنائز من حقوقِ المسلمين على وجهِ العموم فكيف بالجار وحق الجار، فما ضياع ذلك إلا من ضياعِ حقائقِ الدين وحقائق الإيمان وحقائقِ ترجمةِ الإسلامِ في واقعِنا وفي حياتِنا.

فيجب على كل مسلم أن يتفقدَ أحوالَ جيرانِه، وأن يساعدَهم بما استطاع، وأن يهنئَهم بمناسباتِ الأعياد وبمناسبةِ شهر رمضان وأمثال ذلك من المناسبات، وأن يُعزِّيَهم إذا نزلَت بهم مصيبة، وأن يكونَ لهم حَسَن الجوار يتهيأ لأحسنِ جِوار وهو جوارُ اللهِ في دار كرامتِه وجوارِ أنبيائه ورسلِه والصالحين من عباده.. فأحسِن الجوارَ هنا يَحسُن لك الجوار عند خيرِ المجاوِرين في دارِ الكرامة.

اللهم وفِّقنا لأداءِ حقوقِ الجيران، واجعلنا من المتعاونين على ما يرضيك يا رحمن.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه

والحمد لله رب العالمين.

نصرة المظلوم

الحمد لله، وصلى اللهُ وسلَّمَ على سيدِنا محمدٍ وآله وصحبهِ ومن اهتدى بهداه، وجعلنا الله ممَّن يهتدي بذلك الهدى، ويسلمُ من جميعِ أنواعِ الفتنِ والزيغِ والردى، إنه أكرمُ الأكرمين وأرحم الراحمين.

أما بعد: فإنَّ نصرةَ المظلومِ في الشريعةِ المطهرةِ بما قدرَ عليه المسلمُ فرضٌ وواجبٌ حتمي عليه لا عذرَ له في تركِه مهما قدرَ عليه.. فمن الناس مَن يتصوَّر عن الإسلام أنه مجردُ إقامة الصلوات وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت وينسى الأخلاقَ بعد ذلك!! وما تلك الأركان إلا مُشَيِّدَةٌ لِبُنيان الأخلاق، فمن الواجباتِ الحتميَّة الضرورية نصرةُ المظلومِ لكلِّ من قدرَ عليها.

فمتى أُهينَ مسلمٌ وهو يرى أو يعلم ولم ينصره بما يقدرُ أن ينصره به أذلَّه الله تعالى في موطنٍ يحب النصرةَ فيه.. ومن ذبَّ عن عِرضِ مسلمٍ ونصرَه في موطن يحب النصرةَ فيه إلا نصرَه الله تبارك وتعالى في الدنيا وفي الآخرة.

نصرة المظلوم بحسب وسع المسلم وطاقته:

يجبُ على المسلم أن يبذلَ الوسعَ في نصرةِ المظلومين مِن المسلمين بما يقدرُ عليه.. فمن يكونُ في دائرتِه وقربه بامتدادِ يده بما يقدر عليه في دَفعِ الظلم عنه، ومَن كانَ بعيدًا من حيث المسافة ومن حيث المساحة فإنه قريبٌ من حيثِ العقيدة وقريبٌ من حيث المبدأ والدين، فلأجلِ ذلك تتوجَّه علينا نصرةٌ لهم، ومن جملة

ذلك ما يأتي على وجهِ العموم وتُنشَر الأخبارُ عنه في وسائلِ إعلامِ المسلمينَ وغيرِ المسلمين من اضطهادِ المضطهَدين من أهلِ الإسلام وظلم المظلومين منهم في كثيرٍ من البقاع، كما سمعَ الناس عما حدثَ في فلسطينَ المباركة وما قامَ به أعداء الله من الاعتداء على أهلِ دينِ الله تعالى، وما عبروا به عن غيظِهم وحنَقِهم وحِقدِهم على الإسلام وأهل الإسلام.. فتبيَّن أنَّ في تلك الديار مظلومينَ من أهلِ هذه الملة يجبُ نصرتهم بما قدرَ عليه المسلمون من دعاءٍ ومن بذلٍ لمال ومن مساعدةٍ بكل ما أمكنَ لهم، كذلك إخواننا الذين يعانون الظلمَ والاضطهاد في بعض البقاع كالشيشان وغيرها مِن البقاع التي يتعرض فيها المسلمون لأذى الكفار وانتهاكِهم لحُرماتِهم واعتدائهم عليهم بغيرِ حق يجب نصرتهم بما استطاع الإنسان.

ونصرةُ المظلوم وفرضيتها في الشريعة تجعلُ المسلمَ عائشًا واقع المسلمين وعائشًا مع المسلمين ليس بعيدًا عما يدور حواليه مما يتعلق بواجبه مما يعنيه، لا دخل له في الفضول ولا فيما لا يعنيه، ولا يمتد إلى ما لم يشرع له ولا ما لا يخصُّه، ولكن في حدودِ ما فرضَت عليه شريعةُ الله وما أوجبَ عليه دينُ الله تبارك وتعالى، يتلمَّسُ ويتحسس أحوالَ المسلمين ويتفقدهم إلى حدٍّ أن جاءَ في الحديث «**أنصر أخاك ظالمًا أو مظلوما**» فقال رجل: يا رسولَ الله ننصره إن كان مظلومًا، فكيف ننصره إن كان ظالما؟ قال: **إن كان ظالمًا** – وهو أخوكم مسلم – **تحجزه من الظلم**

فإنَّ ذلك نَصرُه»[1]، أي معنى النصرِ أن تحافظَ عليه من التعرُّض لِبطشٍ وغضبِ من الجبار، أن تحافظَ عليه من أن يناله الضر والأذى من حيث يشعر أو من حيث لا يشعر، فإن كان ظالمًا فإنَّ الضررَ واقعٌ عليه بظلمه فَكُفَّه عن الظلم، فإنَّ الظلمَ ظلماتٌ يومَ القيامة فأنتَ تنصره إذا كفَفتَه عن ذلك الظلم.

اهتمامِ الصادقين مع الله بنصرة المظلومين:

نصرةُ المظلوم وإغاثةُ الملهوف من محاسنِ الأخلاقِ التي جاء بها الإسلام والتي تسابقَ إليها طالبوا القربِ من الله تبارك وتعالى فجعلوا في ذلك بَذلاً لأموالِهم بل لأوقاتِهم وأفكارِهم بل لأرواحِهم مهما قدَروا على ذلك، فعاملوا اللهَ وبايعوه وتاجَروه فرَبحَت تجارتُهم إذ توجَّهوا لتلكَ النصرةِ التي يحبُّها الله تبارك وتعالى، والمعاونةُ والمساعدةُ التي شرعَها الحق جل جلاله واحتلَّ أصحابُها منزلةَ من قُربِه وعطفِه ورأفتِه ورحمتِه.

فنصرةُ المظلومِ من خيرِ ما يترجمُ الرحمةَ في قلبِ المسلم، من خيرِ ما يترجمُ معاني الإيمان التي تقرُّ في قلبِ المسلم المؤمن بالله وبما جاء عنه.. فلا ينبغي أن يتخلفَ عن نصرةٍ قدرَ عليها بمالٍ ولا بقَولٍ يقوله عند أحد أو في مجلسٍ أو في مناسبةٍ بما استطاعَ.. لا يجعل ذلك بلبلةً ولا كلامًا بعيدًا عن الفائدة، ولكنه بعقلِه

---

(1) رواه البخاري في كتاب المظالم، باب: أعِن أخاك ظالما أو مظلوما (الحديث: ٢٣١٢) ورواه مسلم في كتاب البر، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما (الحديث: ٢٥٨٤) عن أنس.

وحكمتِهِ يحرصُ على الفائدة بالكلمة الطيبة، وقول الحق في مكانه، وإيصالِ الأمر على وجهه لَمِن بهم يُغيثُ ذلك المظلوم أو ينصره، ومساعدته بما أمكنَ من مالٍ أو حال.

فهذا خلقٌ من الأخلاق الفضيلةِ التي جاءت بها الشريعة الجليلة، فما أجدَرنا أن نلفتَ نظرَنا وعنايتَنا إليها حتى لا يبقى بيتُك أيها المسلم مقطوعًا عن واقعِ المسلمين، مقطوعًا عن الهمِّ بالمسلمين، مقطوعًا عن الفكرِ في مصالحِ المسلمين، وأنت عضوٌ في جسدٍ كيف لا تشعرُ بما يجري على كثيرٍ مِن أعضاءِ الجسد و في الحديث « **مثَلُ المؤمنينَ في توادِّهم وتراحِمِهم وتعاطُفِهم كمثلِ الجسدِ الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائرُ الجسدِ بالسهرِ والحمى** »[1]

اللهم انصرنا ووفقنا لنصرةِ المظلوم، وهب لنا خيرَك الأعلى، ومَنَّك الأسمى، وادفع عنا شرَّ الظلم والظالمين، واجعلنا من الهداة المهتدين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم (الحديث: ٥٦٦٥)، و مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب: تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (الحديث: ٢٥٨٦).

إنجاز الوعد

الحمد لله، وصلى الله وسلمَ على رسوله وعبده ومصطفاه سيدنا محمدٍ وآله وأصحابه ومن سارَ على منهجه واهتدى بهداه.

أما بعد: فإنَّ الإنجازَ للوعودِ والوفاء بالعهود، جاء في شرعِ الله تبارك وتعالى خُلقاً لِمن أسلمَ ولمن آمن واتبعَ هديَ النبي المصطفى صاحبِ المقام المحمود صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

﴿وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾ [النحل:٩١] ولقد حذَّر النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الوقوعِ في عمَل المنافقين بإخلافِ الوعد[١] فصار الوعدُ عند المؤمنين ذا أهميةٍ ومكانَ اهتمامٍ لهم، فلا يَعِدُون بوعدٍ إلا استجمَعوا جُهدَهم للوفاءِ به وإنفاذه على ما وعدوا خشيةَ أن يدخلوا فيمن يُخلِفوا المواعيد.

إنجاز الوعد سمةُ المؤمن:

وهذا الأمر أمرُ إنجاز الوعد إذا وعد المؤمن بخيرٍ له مكانةٌ ساميةٌ في الواقع، ومن تَهدَّم بنيانه بينَ أهلِ الملة أخذوا مأخَذًا غريباً في أن ينسبوا الإنجازَ للوعدِ لغَيرِ أهل الملة، وانطوَت عليهم الحيلة والمكر والاستدراج حتى صاروا يرونَ التقيَّدَ

---

(١) إشارة إلى حديث: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب: علامة المنافق (الحديث:٢٣).

بالوعدِ والاهتمام بإنجازه صفةٌ لغير المسلمين، فصار المسلمُ يقول لأخيه المسلم إذ قد انجرفَ في هذه الخدع وهذه الحيل ودعا إلى ذلك انهدام قواعدِ التقوى بين المسلمين، يقول له بيني وبينك وعد أن تفعلَ كذا أو تأتي في ساعة كذا، فيقول هو وعد آل كذا وآل كذا من أهل الكفر، أي يؤكّد عليه الوعد بضربِ المثل بأولئك الكفار، فما أضيعَ عقلَ هذا وأقل فقهَه لدينِه، وكان الأولى والأجدرُ أن يقولَ أتعِدُني بوعدِ المسلم على أن تُنجزَ هذا الأمر أو هذا العمل أو تأتيَ في ساعةِ كذا.. فإنه ما من شريعةٍ عظمت شأنَ الوعدِ كشريعة الإسلام، ولا يلتزم غيرُهم الوعودَ إلا لمصالحِ دنياهم وبدَوافعَ محدودةٍ ضيقة.. لكن المؤمنَ يعدُّ إخلافَ الوعد وتضييعَه خروجًا عن أدب الشريعة وعن واجبها، وتعرُّضًا لِسَخطٍ كبير، فهو الأحرصُ عليه مِن الذي يحرصُ على الوعدِ مِن أجلِ مصلحةِ تجارةٍ أو سمعةٍ بين الناس أو الوصولِ إلى مصلحةٍ مُنقَضية، لكنَّ المؤمنَ بإنجازِه الوعد يصل إلى مصالحَ لا نهاية لها، وإلى نعيمٍ أبدي، وإلى تحقُّقٍ بحقائقِ دينِه وإيمانه.

فمِن الجهل بالدين أن يُظَنَّ أنَّ إنجازَ الوعود يُضرب به المثل لغيرِ أهلِ الدين.. بل المثَلُ في إنجازِ الوعود نبي الله صاحب المقام المحمود صلى الله عليه وآله وسلم، وصحابته الكرام، وخيارُ هذه الأمة، فينبغي بهم أن نقتدي ونتخذَّهم مثلاً لنا. وكان جعفر الصادق إذا وعدَ أحدًا بوعدٍ لم يأكل ولم يشرب حتى يفيَ بالوعد.. لم يرضَ أن يتناولَ الطعام ولا الشراب حتى ينفِّذ الوعد أولاً وينجزه.

ولهذا أحبُّوا أن تكون خيورُهم للناس ابتداءً من غير وعد.. وإذا احتاجوا إلى الوعد تنبَّهوا لإنجازِه في وقته وعلى هيئته التي وَعدوا عليها، وبالَغوا في ذلك، وكان إنجازُهم للوعد أحسنَ مما وعدوا عليهم رضوان الله، فكذلك ينبغي أن يكون المسلم.

ومن العجَب أن ذلك انتشر حتى في مواعيدِ المسلمين في أعمالهم مثلاً، فتجدُ الذي وُظِّفَ في عملٍ معين وله موعدٌ في المجيْء والخروج يُخِل بهذا الوعد ويُخلِفه.. بل في دعَوات المسلمين فقد يدعو الناسَ لمناسبةٍ من المناسبات الساعة كذا وكذا فيأتي الضيوف بعضُهم متقدم وبعضهم متأخر لما انتشر من الإخلال بهذا الخلق وهذه السنة حتى يتضررَ الذي جاء على الوعدِ بسبب تَخلُّف المتخلِّف! ولا يُنجزُ صاحبُ الوليمة وعدَه كذلك، فيضيعُ وقتٌ كثيرٌ وربما سبَّبَ ذلك تضرُّراً لكثيرٍ من المسلمين. والقصد أنه ينبغي لأهلِ الإسلامِ أن يضبطوا شئونهم بموازينِ شرعِهم وأن يسيروا في حياتهم على وِفقِ الإرشاداتِ الإلهية.

وفَّقنا الله تعالى للتخلُّقِ بالخُلقِ المرضي وجعلنا من الذين يستقيمونَ على منهجِ رسولِ الله سيدنا النبي قولاً وفعلاً، اللهم ثبِّت ووفِّق وأصلح وتولَّ المسلمينَ وارعَهم وادفعِ الآفاتِ عنهم برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين،

والحمد لله رب العالمين.

التواضع

الحمد لله وليِّ الصالحين، وصلى الله وسلَّمَ على عبدِه وحبيبِه الأمين، سيدنا محمد وعلى آلِهِ وصحبِهِ والتابعين.

أما بعد: فإنَّ أخلاقَ الإسلامِ في عظَمتها تشيِّد بنيانَ السعادة وتُهيء العامِلَ بها للحسنى وزيادة، اللهم اهدِنا لأحسنِ الأعمالِ و الأخلاقِ لا يهدي لأحسَنِها إلا أنت واصرف عنا سيئَها لا يصرفُ عنا سيئَها إلا أنت.

وإنَّ من الأخلاقِ القلبيةِ عند المؤمن تواضعَه الذي أحبَّه الله منه ووعدَه أن يرفعَ به منزلتَه ودرجتَه ((**من تواضعَ لله رفَعه الله**))[1] كما أنه سبحانه من عادتِه أن يضعَ المتكبِّرينَ ويخفضَهم شاءوا أم أبَوا، ويجعلَ جزاءَهم في الدنيا وجزاءهم في العقبى كذلك.. كما قال جل جلاله ﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾ [النحل:٢٣].

دعانا لأن نتواضعَ مع عبادِه، حتى وصفَ عبادَه الصالحين بأنهم يمشون على الأرضِ هونًا، قال ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣،٦٤] إلى آخر ما وصفَهم به ربهم. قوله (يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا) ترجمَ تواضعَهم حتى مع الجمادِ ومع هذه الأرض في مشيَتهم.. وذلك لأنَّ التواضعَ والتكبُّرَ مع أنهما

---

(١) رواه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب استحباب العفو والتواضع (الحديث: ٢٥٨).

وصفان قلبيَّان لهما ظواهر متعلقة بما يبدو على جوارحِ الإنسانِ ومعاملتِه، فمن استقرَّ في قلبِه التواضعُ رأيتَ أثرَ ذلك في أقوالِه وفي أفعالِه مع الناس، ومَن استقرَّ في قلبِه الكبر لابدَّ أن يظهرَ أثر ذلك في نَخوتِه وترفُّعه وإبائِه وشُطوحه وإعلائه رقبته وعطفها ورفعه رأسه، واستنكافه من أن يجلسَ مع الفقير ومع المسكين، واستنكافه من أن يجلسَ في دونٍ من المجلس أو أن يظهرَ بثوبٍ متوسطٍ مثلاً.. إلى غير ذلك من مظاهر الكِبر الذي قد يكون بوصفٍ من أوصاف الدنيا وقد يكونُ بوصفٍ من أوصافِ الدين.

بِم يكون التكبُّر:

يكون الكبر بوصفٍ من أوصاف الدنيا كغنى مثلا أو سُلطة مثلا أو جاهٍ بين الناس أو خِلقة، والدنيا بما فيها أهونُ عند الله من جناح بعوضة فلا يتكبرُّ بها إلا من سقطَت هيبةُ الحقِّ تعالى من قلبِه.. هي أحقر من أن يتكبَّرَ بها فإن تكبرت بشيء منها فمع فرعون وهامان وقارون ما هو أكثرُ منك، فهل هم قدوَتك!؟ أو هل هم مَثَلُك الذي تحتذيه أو ترضى أنت أن تؤولَ إلى مصيرِهم الذي ذكره بارئك!؟ إذًا فالعزة الحقيقية ليست بهذه الدنيا، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون:٨].

وقد يكون الكبرُ بطاعةٍ أو بعلمٍ أو بشيءٍ من أمور الدين فعلى صاحبِه أن يعلمَ أن كبرَه بذلك يحطُّ منزلتَه وأنه يفسدُ عليه دينَه وطاعتَه وعبادتَه ويوقعه

موقفَ الذلة في الدنيا والآخرةِ والعياذ بالله تبارك وتعالى، فليتنبه من التواضع ويقيم ميزانَه ويتوجَّه إلى تحقيقه في حياته ولو بالتكلفِ أوَّلاً حتى يرسخ ذلك في قلبه.. فإنَّ من رأى واعتقد نفسَه أنه خيرٌ من أحدٍ من الخلق فقد خرجَ عن التواضعِ ودخلَ في قلبه شيء من الكبر حتى يُعامِلَ اللهَ بأن يعتقدَ أنه أذلُّ خلقِه وأفقرُ عبادِه إليه وأنه يخاف بطشَه وانتقامَه، فلأجلِ ذلك لا يصدرُ منه الاستفزاز بشيء من الحوادث التي تحدثُ حواليه.

ولا يزال يطلب التواضعَ في أفعاله وفي أقواله كذلك، يقتدي بسيد المتواضعين وهو رسول الله الأمين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم الذي تستطيعُ الجاريةُ من جواري المدينةِ أن تستدعيَه ليكلمَ لها أحدًا في حاجةٍ أو يشتري لها حاجةً أو يقضي لها أمرًا من الأمور، فتعترضه في الطريق فيذهب معها إلى حيث قضاءِ مُرادِها وحاجتها ثم يعود صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وصفٌ لحال رسول الله في بيته ومع أهله:

وسُئِل أهل بيته كيف حاله صلى الله عليه وسلم وهو في البيت إذا دخل عندهم؟ قالوا: يعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته[1] يطرح هذا ويأخذ هذا ويَقُمُّ البيتَ ويرقعُ الثوبَ ويخصف النعل ويقطع اللحمَ صلى الله عليه وآله وسلم.. قالوا فإذا

١) رواه البيهقي في دلائل النبوة.

حضرت الصلاةُ خرجَ كأنه لم يعرفنا ولم نعرفه[1] من تعظيمِه لفرضِ الصلاة صلى الله عليه وآله وسلم.

قالت أم المؤمنين عائشة وما كنا نبالي به بالاً يعني إذا دخل البيت لا نهابُ ولا نخاف بل يدخلُ في تواضعِه العظيم صلى الله عليه وسلم، قالت إلا داجن[2] كانت عندنا في البيت تذهب وتجيء فإذا دخل رسولُ الله جلسَت في جانبِ البيت فلم تتحرك حتى يخرجَ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فما أعظمَ خُلُقَه وأشدَّ تواضُعَه صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.. فهكذا ربَّى أصحابَه الكرام فمضَوا حتى منهم من مضَى في ثيابٍ مُرَقَّعةٍ ولم يرَ بذلك عاراً ولا عيبًا، واشتغلوا بخدمةِ عجائزِهم وخدمةِ الضعفاء فيهم وضربوا الأمثلةَ في ذلك رضيَ الله عنهم وأرضاهم.

فَوطِّن نفسَك على التواضعِ أيها المؤمن يرفعك الله سبحانه وتعالى، فإنَّ اللهَ يرفعُ كلَّ من تواضعَ لجلاله.. فتواضع في قولك وتواضع في فعلك واستحيِ أن تنسبَ الفضائلَ إلى نفسك فإنَّ ربَّك يزيلُها عنك في طَرفةِ عينٍ إذا أراد، ويَحولُ بينك وبينها.

---

(١) روى البخاري نحوه في كتاب الجماعة والإمامة، باب: من كان في حاجة أهله فأقيمت الصلاة فخرج .. (الحديث: ٦٤٤)

٢) الداجن هي الشاة التي يعلفها الناس في منازلهم.

يا متكبرًا بصورة: وَرمَةٌ تظهرُ فيك تُذهِبُ عنك جمالَ الصورة.. يا متكبرًا بصحة: ألمٌ في سن أو في أذن أو في عين يذهب بصحتِك كلِّها ولا يُبقي منها شيء.. يا متكبراً بمال: لحظةٌ من اللحظات تصبح فيها فقيرًا، تجتاحه جائحة أو تغرغر بروحِك فلا ترى له أثرًا ولا فائدة ولا تسمعُ بعد ذلك عنه خبرًا.. فاحذر أن تتكبرَ بدنياك أو بشيء من دينِك فتفسده وتواضع لربك يرفعك الله.

اللهم ارفعنا، وكن لنا، واستجب لنا واسمعنا، وادفع الآفاتِ عنا.. برحمتك يا أرحم الراحمين يا أكرم الأكرمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين والحمد لله رب العالمين.

العفَّـــــة

الحمد لله، وصلى الله على مرشدِنا إلى سبيله وداعينا إليه، عبده وحبيبه محمد أفضل الصلوات والتسليمات، وعلى آله وأصحابه القادات وتابعيهم بإحسان.

أما بعد: فإنَّ من أخلاقِ المسلم ثلاثٌ أقسمَ على نتيجتِهنَّ رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم في حديثِه فقال: ((**ثلاثٌ أقسِمُ عليهن: ما ازدادَ عبدٌ بعفوٍ إلا عزًّا، وما نقصَ مالٌ من صدقة، ولا فتحَ أحدٌ على نفسه بابَ سؤالٍ إلا فتحَ الله له بابَ فقر**))[1].

ولنأخذ التركيزَ من هذه الثلاث على وصفِ عفَّةِ المسلمِ عما في أيدي الناس.. فكما أنَّ مِن وصفِ المؤمن الجود بما في يده، والإيثار والبذل له، فكذلك من وصفِه أن يعفَّ عما في أيدي الناس و يستغني بالله تبارك وتعالى ولا يسألُ المالَ إلا من وجهِه وعلى طريقِه بما شرعَ الله له مِن تجارةٍ وصناعةٍ وزراعةٍ وإلى غير ذلك من الأسبابِ والوسائلِ المشروعةِ على وِفقِ أحكامِ الشرعِ، فلا تمتد عينُه إلى ما في أيدي الناس، ولا يسأل الناسَ وهو يقدر على العمل والكسبِ قط أبدا.

ومن سألَ باسم الفقر والحاجة وعنده قوتُ يومِه وليلته كان ما يأخذه حرامًا من أيدي الناس لأنه لا يستحقُّ السؤالَ باسم الفقرِ إلا من فقدَ قوتَ اليوم

---

(١) رواه أحمد عن أبي كبشة الأنماري، والترمذي في أبواب الزهد، باب: ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (الحديث: ٢٤٢٧) وقال: حديث حسن صحيح.

والليلة، فإذا فقدَ قوتَ اليوم والليلة سأل فإذا أُعطيَه كفَّ عن السؤال حتى يأتيَ اليومُ الثاني فإنه له رزقُه الثاني الذي يرسلُه الله تبارك وتعالى إليه.

العفة سببٌ لغنى النفس

والقصد أنَّ المسلم إذا عفَّ عما في أيدي الناس يسَّر الله تعالى له أسباب غِنى النفس، يقول صلى الله عليه وآله وسلم: « **ليس الغنى عن كثرة العَرض ولكنَّ الغنى غنى النفس** »[1] ولأجل ذلك قالوا إنَّ الفقرَ الذي استعاذَ منه رسولُ الله هو فقرُ القلبِ الذي يبقى صاحبُه مُتشوِّفاً إلى ما في أيدي الناس وممتدةً عينُه إليه، فيعيش فقيراً ولو ملكَ الكثير، ولو ملكَ الدنيا بما فيها فإنَّ هذا الفقرَ يؤدي إلى كثيرٍ من الآفات والمهاوي.

يجب على المسلم أن يسلكَ مسلكَ العفة، فلا يزال يبذل الفضلَ من يده ويمسك الفضلَ من لسانه، ولما طلبَ الوصيةَ بعضُ المستَوصينَ من بعضِ الأخيار قال له: (**فُكَّ كفَّك وكُفَّ فَكَّك**) فُك كفَّك: كفك فُكَّه أي أنفق، وكُفَّ فَكك: لسانك فمَك، فهذا الفَك كُفَّه، فإنه من أمسكَ الفضلَ من لسانه وبذلَ الفضلَ من يده كُتب ذاكراً شاكرًا، ومن لا فلا يكتبُ ذاكراً ولا يُكتب شاكراً، فينبغي أن يكون المسلمُ على هذا الوصف وعلى هذا الخلق، وخُذ قسمَ النبي على

---

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب الغنى غنى النفس (الحديث: ٦٠٨١)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ليس الغنى عن كثرة العرض (الحديث: ١٠٥١) والترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء أن الغنى غنى النفس (الحديث: ٢٤٧٩).

النتيجة.. أما أولاً فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «**ثلاثٌ أقسِم علـيهن: ما ازدادَ عبدٌ بعفوٍ إلا عزًّا**» كل من عفا عمن آذاه أو عمن استحقَّ عليه شيء فلـن يزدادَ بهذا العفو إلا عزا.. لن يذل.. ولن يُـؤذَى بـسببِ هـذا العفـو؛ فكثـيرٌ مـن الناس يقولون إن عفوتَ عن ذا وذاك تجرَّءُوا عليك وأهِنتَ بينهم، فقل لهـم قـال النبي: **ما ازداد عبدٌ بعفو إلا عزا.**

ويقولون إن أنفقـتَ في هـذا الخـير، وفي هـذا الخـير قَـصُر مالُـك وضَـعُف حالك.. قل لهم «**وما نقصَ مالٌ من صدقة**» لا ينقص المـال مـن الـصدقة مهـما جاءت في موضعها بل يزداد بل يزداد بل يزداد.

«**وما فتحَ أحدٌ على نفسِه بابَ مسألةٍ إلا فتحَ الله عليهِ بابَ فقر**» هـو يـسأل ويزداد في السؤال والفقر يزداد عليه، وذلك الذي يسأل طمعا.. أما الـذي يـسأل لغيره من المحتاجين أو يسأل للمصالح العامة فيطلب من الأغنيـاء و الأثريـاء أن ينفقوا فيها وأن يبذلوا فيها وأن يسارعوا إلى المثوبات في الإنفـاقِ في تلـك الـسبُل المرضيَّات فليس داخلاً في هذا الحديث، إنما الذي يسأل لنفسه طمعًا فيما في أيـدي الناس هو الذي يفتحُ الله له أبوابَ الفقر.

ويمضي المسلمُ الصادقُ في إسلامه على القناعةِ بما رزقَه الله وعلى الاسـترزاقِ بما شرعَ الله تبارك وتعالى وعلى توكُّله على الله جل في علاه، وعلى استعفافه عـما في أيدي الناس، وعدم التفاته واستشرافه إليه، حتى قال صلى الله عليـه وآلـه وسـلم

لسيدنا عمر وقد ردَّ عطاءً وهبه له: ((**خذه فتموَّله وتصدق به فما جاءك من هذا المال وأنت غير مشرف ولا سائل فخُذه وإلا فلا تتبعه نفسك**))[1] لا تُتبِع عينَيك ونفسَك ما لم يأتِك من نفسه فما أتاكَ من نفسه فالمنهجُ الصواب فيه لا نسأل ولا نرد مهما جاء من وجهٍ غير حرامٍ، وجاء من وجهٍ طيب، فيُقبل فإن كان لك حاجة فخذه وإلا فتصدَّق به.. فنِعم المسلك هذا، وبئسَ امتدادُ العين إلى ما في أيدي الناس.

جعلنا الله تعالى من أغنياء القلوب، وجعلَ سبحانه الأرزاقَ الظاهرةَ والباطنةَ مسخرةً لنا، وجعلَ الدنيا في أيدينا لا في قلوبنا، وجعلنا ممن ينفقها ابتغاء وجهه الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه البخاري في كتب الأحكام، باب: باب رزق الحكام والعاملين عليها (الحديث: ٦٧) ومسلم في كتاب الزكاة، باب: من أعطي من غير مسألة ولا إشراف (الحديث: ١٠٤٥) والنسائي وأحمد عن عمر بن الخطاب.

تربية الأبناء

الحمد لله، وصلى الله وسلم على عبده وصفوتِه مِن خلقِه سيدِنا محمدٍ وآله وأصحابه ومن سلكَ طريقته السديدة.

أما بعد: فإن مما جاءت به شريعةُ الإسلام لكل مسلمٍ أن يقومَ بحُسنِ التربيةِ لأهله وأولاده وتفقُّدِ أحوالهم في تنشئتهم على ما يُرضِي ربه، وأن يفقهَ أنهم أمانةٌ لديه، وأن يؤدي حقَّ هذه الأمانة ويعلمَ أنه بتضييعها يتحوَّل المال والأهل والولد إلى عدوٍّ وإلى فتنةٍ عليه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التغابن:١٤].

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾ [سبأ:٣٧] فالذين آمنوا وعملوا الصالحات تكون أموالُهم قربةً إلى الله لأنهم ينفقونها في محلِّها، وأولادهم قربة إلى الله لأنهم يرَبُّونهم على منهج الله، ويبقونَ بعد وفاتهم تصلُ حسناتهم إلى أرواح آبائهم الذين مضوا قبلهم.

إذن فتربيةُ الأبناء والبنات وكذلك الأهلين خلقٌ مهِم عظيمٌ للمسلم يترتب عليه صلاحٌ في الأُسَر.. وصلاحُ الأسرِ صلاحُ المجتمع وهو صلاح الدولة.

التربية لهؤلاء الأبناء بإدراك أنهم أمانةٌ في عنقك يلزمك تغذيةُ أجسادِهم وأرواحِهم وربطِهم بشرعِ ربهم جل جلاله، حتى يكونوا لك قرةَ عين يوم يبعثُ

الله الخلائق، قال تعالى في وصف العباد الصالحين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤] تربيةٌ للأولاد، تربيةٌ للأزواج، ليكونَ الأولاد والأزواج قرة عين.

كيف تكون تربية الأولاد:

تربية الأولاد: بحسنِ النية فيهم، وتمنّي أن يكونوا من أهلِ قربِ الله ومِن جُند الله، ومِن الصالحين مِن عبادِ الله.. فهذه الأمنية والنية لها تأثيرٌ على الأولاد، فمِنَ الناس من لا يخطرُ على بالِه عند الشعور بحملِ أهله إلا أنه سيأتيه ولدٌ يُدخل عليه المال أو يوظِّفه في وظائف لتدرَّ عليه الرزق أو ليظهرَ به مظهرًا في الحياة.

ومن الناس مَن ينازلُ قلبَه أن هذا يكون ولداً من الأولاد ذكرًا أو أنثى يطيع اللهَ فتكون له مثل طاعته، ويستقيم على منهج الله فيكون سببًا لرحمته، ويكون عُدةً له في آخرته، وقرةَ عينٍ له في مصيره ومعاده.

فهذه النيات لها تأثيرات، يقول النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «**تزوجوا الولودَ الودودَ فإني مكاثرٌ بكم الأممَ يومَ القيامة**»[1] ففيه إشارة إلى أن النية ينبغي أن تكون من عند الزواج بالنسبة للأولاد أن يأتي أولادٌ يرِدُون على الحوض، ويُكاثر بهم النبي الأممَ السابقة يوم القيامة، ليكثرَ الواردون على

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح، باب: النهي عن تزويج من لم يلد من النساء (الحديث: ٢٠٥)، وأحمد عن أنس، وابن حبان، والحاكم وصححاه.

حوضه المورود.. فانظر إلى عجيبِ هذه النية الطيبة الصالحة المربوطة بالزواج من أول التفكير في النكاح، فما أعظم هذا المربي المعلم صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقال صلى الله عليه وسلم: ((**تناكحوا تكثروا فإني مُباهٍ بكم الأممَ يوم القيامة**))(1) ربطَنا بهذه النية، وسنَّ لنا أن نؤذِّن في أذن المولود اليمنى عند خروجه من بطن أمه، ونقيم الصلاة في أذنه اليسرى، وكذلك فعلَ بسيدنا الحسن وسيدنا الحسين حينَ ولدت كلاً منهما أمهما البتول الزهراء فاطمة رضي الله عنها، أذَّن النبي في الأذن اليمنى وأقام الصلاة في الأذن اليسرى(2) فكان أول ما يطرق سمعَ المولود في هذا العالم.. الله أكبر الله أكبر أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله.. اسم الله واسم رسوله، وتعظيم شعائر الله.. حي على الصلاة حي على الفلاح، أول ما يطرق سمعَه.

ثم جاءنا في الحديث: ((**مُروا أولادَكم بالصلاةِ وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم على تركِها وهم أبناء عَشر سنين**))(3) من حين السبع السنين نربطهم بفرض الله، نربطهم بالفرائض الخمس، نربطهم بالصلاة لله تبارك وتعالى.

---

(1) رواه الديلمي عن ابن عمر.

(2) رواه الترمذي في كتاب الأضاحي، باب: الأذان في أذن المولود (الحديث: ١٥١٧) وقال: حديث حسن صحيح، والطبراني في الكبير.

(3) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب: متى يؤمر الغلام بالصلاة (الحديث:٤٩٥) بإسناد حسن.

فنحن قد نوَينا النيةَ الصالحةَ من حين زواجِنا ثم من حين أحسسنا بالحمل ثم أسمعناهم ذكرَ الله أول ما وُلدوا وأطعمناهم من الحلال وجنَّبناهم الحرام لا نناولهم ثديًا ولا قارورةً فيها لبن في صباهم إلا ذكرنا اسمَ الله وقلنا بسم الله، ولقد كان بعضُ الصالحين يشترط على زوجته ومرضعةِ أبنائه أن لا ترضعَهم إلا وهي تذكر الله تعالى ليرضعوا اللبن ويرضعوا أثرَ الذكر مع هذا اللبن ونور هذا الذكر.

وأن يختاروا لهم الاسمَ الحسن فمِن الناسِ من يذهب فِكرُه إلى اسمِ أحدٍ من الفجار أو الكفار يسمع باسمه فيُسمِّي ولدَه باسم ذلك.. ما أبعده عن الصواب وما أبعده عن الخير! خذ أسماءَ أنبياءِ الله والصالحين من عباد الله، فسمِّ أولادَك بتلك الأسماء، ومن خيرِ الأسماء ما عُبِّدَ وما حُمِّد، ما كان مشتقًّا من العبودية لله كعبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم وعبد الكريم إلى غير ذلك، وما كان مشتقًّا من الحمد كمحمد وأحمد وحامد ومحمود وغيرها.. ونعمَ الأسماء التي اختارها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لأبنائه وبناته، واختارها كذلك أحفاده وذريته صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله، فينبغي أن نختار لهم الاسم الحسن فذلك من حقهم علينا.

ثم لا نزال نرعاهم.. فمِن حين بلوغهم السبع أمرٌ بالصلاة، قالوا والمعنى أنه قد سبق لنا تعليمهم الصلاة من قبل السبع، حتى نأمرهم بشيء قد عرفوه، ثم ضربهم على تركها لعشر، فأي بيتٍ يترك فيه الصلاة ابن عشر سنين فأكثر فلا

يُضرب إلا أثمَ الوالد وأثمَت الوالدة والمسئولون في البيت لعظَمةِ هذه الصلاة التي هي عمادٌ في دين الله جل جلاله، من قطعَ حبلَها انقطع عن رحمة الله، يقول سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ((**العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة**))[1]

ثم نختار له كذلك التعليم الحسَن والشيخ الصالح، ونختار له رفقاءَ الخير ونحذِّره وننأى به عن رفقاءِ الشر ورفقاء السوء، ونلاحظ أقوالَه وأفعاله فنرشده ونوجِّهُه بما استطعنا عسى أن يكونَ قرة عين، وعسى أنْ يكون فردًا في المجتمع نافعًا وصالحًا يجري الخير على يديه فيكون ذلك الولد سببًا للقرب والمزيد.

قرَّبنا الله إليه زلفى وباركَ في أبنائنا وبناتنا، ورزَقنا حسنَ التربيةِ لهم.. إنه أكرم الأكرمين وأرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين .

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء فيمن ترك الصلاة (الحديث: ١٠٧٩) والنسائي في كتاب الصلاة، باب الحكم على تارك الصلاة (الحديث: ٤٥٨)، ورواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب: ما جاء في ترك الصلاة (الحديث: ٣٦٨) وقال :حديث حسن صحيح غريب.

الاهتمام بأخلاق الأزواج

الحمد لله الذي خلقَنا من نفسٍ واحدةٍ وخلقَ منها زوجَها وبثَّ منهما رجالاً كثيرا ونساءً، وصلى الله وسلمَ على من ختمَ به أنبياءه وجعله سيد أصفيائه، وعلى آله الطاهرين وأصحابه الغر الميامين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد تحدثنا في الدرس الماضي عن تربيةِ الأولاد، وأشرنا إلى تربية الأزواج لما جاء من الربط لذلك في قول الله ﴿ وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان:٧٤] فيتسبَّب الوالد لأن يكونَ الولدُ قرةَ عين بما ذكرنا من التربية وقواعدها، وتفقُّده لأحواله، وسؤاله إياه، واختياره لجلسائه، وإبعاده عن جلساء السوء، إلى غير ذلك.

فكيف تكون الأزواجُ قرةَ عين؟ وكيف يكون الأهلُ قرةَ عين يوم القيامة؟ يكونون كذلك بحسنِ التربية.. بأن يعلمَ الزوجُ الأمانةَ في هذه المرأة التي عليها حقوق ولها حقوقٌ في شريعة الله تبارك وتعالى: من معاشرتها بالمعروف، ومن الإحسان إليها بما قدَر، ومن تربيتها. فتكون قرةَ عينٍ إذا كان يعظِّم لها أمرَ الدين.. يعظِّم لها أمرَ الشريعة.. ينأى وإياها عن موجبات الغضب والمقت والسخط من الله تبارك وتعالى، فهو يعاشرها بالمعروف، وهو يعاشرها بما أحلَّ الحقُّ جل جلاله لَه، يبتغي بذلك تكثيرَ الأمة المحمدية، ومباهاة النبي بأمته في يوم القيامة، فلا يقرَبُ أهلَه إلا مع تسميةِ الله تبارك وتعالى، يعتزلهم في المحيض كما أمر الله تعالى:

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ - أي اغتسَلن بعد انقطاع حيضهن - فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢] وقد لعن اللهُ من أتى حائضًا أو امرأةً في دبرها كما جاء عنه صلى الله عليه وسلم[1]، ثم مع هذه التسمية ونيته لغضِّ البصر ولتحصينِ الفرج، كذلك يربِّي في قلبِ زوجته تعظيمَ الصلاة، وتعظيم فرائضِ الله، وبرَّها بوالديها، وإحسانها إلىٰ والديه أيضا، ويشعرها بأنه مَن فضَّل زوجتَه على أمه تعرَّض للعنةِ الله والملائكة والناسْ أجمعين، فتكون معينةً له على برِّ والديه، ويكون معينًا لها على بر والديها.

تربية الزوجة على الحشمة والحياء:

ثم يحذرها أن تخرجَ من البيت إلا محتشمة، فلا تخرجُ إلا بزيِّ الحياء وبزيِّ الشرف، ولا تكون إمَّعةً تتبع الموضات حيث ما ظهرت مِن أي بلاد، مِن أي فئة، مِن أي طائفة، مِن عند مَن فجر، مِن عند مَن كفر؛ فتكونُ مهبولةً.. هي تمشي وراءهم، وتتبع هذه الإغراءات.. فتخرجَ عن حيائها، تخرج عن حشمتِها، تخرج عن شريعتها.. وهو مسئولٌ عنها. وبهذا لن تكونَ قرةَ عينٍ له يوم يقوم الأشهاد، ولن تكون زوجةً صالحةً من خيرِ متاعِ الدنيا، فخيرُ متاعها المرأة الصالحة..

---

(١) رواه الترمذي في أبواب الطهارة، باب: ما جاء في كراهية إتيان الحائض (الحديث: ١٣٥)

فعليه المسئولية بأن يؤكِّد عليها أنَّ شرفَها في لباسِها ما كانَ أحشمَ، وما كان أقربَ للحياء، وما كان أبعدَ لها عن السوء ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ﴾ [الأحزاب:٥٩] تُعرف حشمتُهن ، ويُعرف حياؤهن.. فلا يؤذَين مِن قِبل الذين تمتد أعينُهم بالسوء، ولا تمتد كلماتهم بالسوء مِن الذين في قلوبهم مرض قال تعالى ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ [الأحزاب:٣٢] حرَّم عليهن تليينُ أقوالهن عند مخاطبة الرجال فقال ﴿ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ ﴾ مرض شهوة الحرام عند الذي يطمع بإخضاعِ القول. فحرَّم الله على المرأة أن تخضعَ بالقول أمامَ الرجالِ الأجانب.

علِّمها أن تخرجَ من البيت إلى مقصدٍ صحيح.. إلى زيارةِ أقارب، أو إلى صلةِ أرحام أو جيران، إلى برِّ والدين، إلى علمٍ تتلقاه في الشريعة، إلى منفعةٍ تنفع بها الناس.

أما أن تتخذَ الخروجَ وِرداً لها من غيرِ حاجة، فتذهب إلى السوق مثلاً وربما ضحكَت مع صاحبِ الدكان، وربما أبدَت بعضَ محاسنِها عنده، فذلك مما يُخرجُهم عن سواءِ السبيل ويعرِّضهم للفتنة، مجرَّد هذا هو المقدمات للشرور الكبيرة، والمسؤولية عليه صعبة، أما ما يؤدي إليه - لو أدى لا سمح الله - من المفاسد، فذلك هو البلاء الأعظم ، ومعظم النار من مستصغر الشرر .

كلُّ الحوادثِ مبدأها من النظرِ ... ومعظمُ النار من مُستصغَر الشررِ

فليعلم عزَّته وعزةَ أهله، وأدبَه وحياءَه من الله تبارك وتعالى في اتخاذ هذا السبيل القويم، فإنَّ الديوثَ لا يدخل الجنة، بشهادة النبي.. ومَن الديوث؟ قال: الذي لا يبالي من دخل على أهله[1]، فاقد الغيرة على زوجتِه وعلى بناته.. لا يدخل الجنة والعياذ بالله تبارك وتعالى. فلابد أن يغارَ المسلم على أعراضِ أهله وأعراض أقاربه، ويُلزِمهم بالحياء.

ولا تزال كثيرٌ من بلاد المسلمين في اليمن وَغيره محتفظةً بأزياء الحشمة وأزياء الأدب والحياء، فليحذروا أن يغترُّوا بما يعرض لهم، أو بما يُلقى إليهم أو يدورُ حولهم، من تردُّدِ المتبرِّجات والغافلات والمائلات والمميلات، فإنهن لُعِنَّ في حديثِ النبي.. وجاء في صحيح مسلم «**صنفان من أمتي من أهل النار لم أرهما بعد، رجال بأيديهم سياطٌ كأذنابِ البقر يسوقون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مائلات مُميلات رؤوسهن كأسنمةِ البُخت المائلة**» يحكي النبيُّ بعضَ الموضاتِ التي تظهر في آخرِ الزمان ممن يجعلنَ شعرَهنَّ كأنه سنام جمل «**رؤوسهُن كأسنمةِ البُخت المائلة لا يدخلن الجنةَ ولا يجدن ريحَها، وإن ريحَها ليوجد من مسيرةِ خمسمائة عام**»[2] نعوذ بالله من غضب الله تبارك وتعالى.

---

(١) رواه الطبراني في الكبير عن عمار بن ياسر. والبيهقي في شعب الإيمان في باب الغيرة (الحديث: ١٠٨٠٠)، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث حسن.

(٢) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة، باب: النساء الكاسيات العاريات المائلات المميلات (الحديث: ٢١٢٨).

هيِّئ زوجتَك لأن تكونَ قرةَ عينٍ لك، ولأن تكونَ زوجتَك في الجنـة.. فإن المسلمَ تكون زوجتُه في الدنيا زوجةً لـه في الجنـة، يُبـدلها الله تعـالى حسناً وجمـالاً أعظمَ مِن حُسنٍ وجمال الحور العين.. لكونها أطاعتِ الله وكُلِّفت في عـالم الـدنيا، وأولئك خُلقن في الجنة.. وإن أدنى ما يُزوَّج الرجـلُ في الجنـة سبعين مـن حـور الجنة[1]، واثنتان من أهل الدنيا[2]، ويفوق حسنُ وجمالُ نساءِ الـدنيا حسنَ الحـور العين لما ابتلاهُنَّ الله تعالى به من الصبر وكلَّفهنَّ به من الشريعة.

اللهم اجعل أزواجَنا لنا قُرة أعين، واهدنا لأقومِ سنَن، واجعل بيوتَنا بيـوت البركة والخير والهداية والتوفيق، برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه أحمد والترمذي في فضائل الجهاد (الحديث: ١٧١٢) عن المقدام بن معد يكرب وقال: حديث حسن غريب.

(٢) رواه الطبراني.

حسن الرد في القول

الحمد لله، وصلى الله وسلم على المصطفى سيدِنا محمدٍ عبدِه ورسوله وآله وصحبه وسالكي سبيله، وجعلنا الله منهم بفضله إنه أكرم الأكرمين.

أما بعد: فلقد جاءتنا الشريعةُ المطهرةُ بحسنِ المعاملة في القول عندما نستمِع إلى خطابِ المخاطِب وكلام المتكلم لنا.. فحُسنُ الجواب وحسنُ الرد في القول خلقٌ كريم من أخلاق الإسلام العظيم، وقد ذكَرنا قولَ الله تعالى في الدروسِ السابقة في وصفِ أخلاقِ عبادهِ الصالحين ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَـٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَـٰمًا ﴾ [الفرقان:٦٣] إذا خاطَبهم الجاهلونَ الذين لا يتقيَّدون بحدودِ أدب ولا يرعَون الحرمةَ ولا الكرامة لم يقولوا هم إلا سلاما، يقولون القولَ السلام.. أي القولَ الحسن والقول الطيب عندما يردُّون عليهم، فيهُدُّ ذلك أسبابَ الشحناء والبغضاء والعداوة ويمنع فتحَ أبوابِ المشاكل، فلا يمكن أن يُستَغلَّوا لإثارةِ شغبٍ ولا لإثارةِ قلقٍ ولا فتنةٍ أبدا، إنما يُستغل غيرهم ويُغرى سواهم.

أما الذين صدقوا في إسلامهم فإنهم إذا خوطبوا بالسوء ردوا بالحُسن، وإذا استُهزِئ بهم ردّوا بوصف الاحترام بما قدروا عليه. ولما سبَّ رجلٌ زينَ العابدين ابن الحسين أعرضَ عنه ولم يرُد عليه ولم يتمعَّر وجهه، فعجِبَ! وقال: إيَّاك أعني، فقال له: وعنك أغضي، أنت تعنيني وأنا أغضِي عنك.. فكذلك يكون جوابهم.

ولما استؤجِر من استؤجر ليغضبَه أمام جمعٍ من الناس -لِما اشتهر به من الحلم- وجعلوا له أجرةً مقابل أن يُغضِبه فدخل عليه يسبه ويشتمه وهو بين أصحابه فأرادوا أن يُسكتوه، فأوقفهم ونهاهم، فلم يزل يسب حتى انقطعَ حديثه فسكت، ولم يظهر أثرٌ على وجهِ الإمام فالتفتَ إليه، وقال: يا هذا إن ذلك مما تعلَمه فينا وربما فينا مالا تعلَمه من المساوي فالله يغفر لنا، ألكَ حاجة فنقضيها؟ فخجل، قال لخادمه: يا غلام أعندك شيء؟ قال: نعم ألف درهم، قال إعطها الرجل، فجاء يصبُّ الدراهمَ عنده، فبكى، وقال أشهد أنك ابن بنتِ رسول الله، والله لقد أغراني قومٌ لا خير فيهم.. قال: كفَّ عن ذلك واسكت، وخُذ ذلك لك هدية ونفوسنا طيبةٌ عنك، فانصرف.

وإلى هذا يرشد الله في قوله ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ لأن كثيرًا من المشاكل تصدر من هنا، قال ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء:٥٣] إذا ما قال التي هي أحسن تأتي الكلمة وتملأ قلبَ ذاك وتغيظ هذا وظهرت المشاكل وانفتحت عليهم آفاتٌ كبيرة.

أثر حُسنِ القول في توجيهِ وهدايةِ المعترض:

فحقُّ المسلمِ أن يختارَ حُسن القول إذا قال، وأن يجيبَ بالجواب المرضي عند الله إذا خُوطب بما لا ينبغي وبما لا يليق، ففي هذا صد أبواب الفتنة أمام المفتنين ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء:٥٣] فلا يدع فرصةً لأن ينزغَ الشيطان بأن يرد الردَّ الجميل والردَّ الحسن على كل مَن خاطبَه،

فهذا خُلقٌ يجب أن نربيَ عليه أبناءنا ونربي عليه أنفسَنا حتى تنسدَّ عنا آفاتٌ كثيرة ونُحسنُ الجوابَ لمن سألنا ولمن خاطبَنا؛ حتى أن بعضَ الأخيار وقد كان يمضي على دابةٍ له مر ببعض المستهزئين فقال: يا شيخ خيرٌ أنت أم حمارك هذا؟ أتنظر هذه القذاعة وهذه الفظاعة في هذا الخطاب! لكن انظر إلى الجواب: اِلتفتَ إليه وقال: يا أخي إن أنا مررتُ على الصراط وجُزت إلى الجنة فأنا خير من هذه الدابة، وإن أنا سقطت في النار فالدابة خيرٌ مني، فتأثر قلبُ ذلك المستهزئ وتحوَّل من مستهزئ إلى معظِّم لذلك الشخص وإلى مُعتبرٍ بكلامه.. قال التي هي أحسن فأثَّر في قلب الذي لا يحسِن فردَّه إلى الطريق الصحيح.. فلو أنه أجاب عليه: يا قليل الأدب لما أثَّر هذا الأثر الطيب في قلبه ولازداد الطين بلّة، فإذا رآه مرة أخرى أخرج كلامًا أكبرَ من ذلك، ولكن لما قال القولَ الأحسن أطفأ هذه النار وفتح له باب النور فخجِل الرجل واستحيى على نفسه.

ومرةً كان يصلي زينُ العابدين في المسجد نفلاً بعد أن خرج الناس بعد العشاء وأحد الغُرباء نسيَ صُرَّةً له فيها ألف درهم في البيت الذي نزل فيه، فظنَّ بعد خروجه من المسجد أنه نسيَها في المسجد فانزعجَ وأقبلَ على المسجد فلم يجد إلا هذا الإمام يصلي ولم يعرف من هو، فوقعَ في باله أنه لم يسرقها إلا هذا وأنه يستتِر بالصلاة حتى يخرجَ الناس فيُخرِجها ولا يراه أحد، فرآه يطيل السجود، وقد كان في خديه خطان أسودان من مجرى الدمع، فقال: لا تُطِل صلاتَك يا هذا

وأدِّ حقَّ الناس.. لا تكذب، فلما أحسَّ به خفَّف الصلاةَ وسلَّم قال: ما عندك؟ ألف درهم وسط الصرة في هذا المسجد ما أخذها غيرُك، فلما سمع منه هذا الكلام كان الجواب: يا أخي استرني فإن من ستر مسلمًا ستَرَه الله سأعطيكَ حقَّك، اتبعني، فأخذه إلى بيته فصَرَّ ألف درهم وناوله إياها، فأخذها ومضى بها فدخل البيت الذي نزل فيه، وإذا بالصرةِ وسط البيت فأدرك أنه أخطأ، قال مَن هذا الذي ابتدأتُه بالفحشاء من القول واتهمتُه بالسرقة ثم بدل أن يغضب ويخاصمني ويضاربني طلبَ مني السترَ عليه وقام يعطيني من ماله ويكرمني!! تعجَّب من هذا الخُلق.. فخرج يسأل بيت من هذا؟ قيل: بيت علي بن الحسين، قال: أزين العابدين؟ قالوا: نعم، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله لم أجد أحدًا أتَّهمه بالسرقة إلا هذا الإمام العارف العامل العالم.. فبكى ودقَّ البابَ فخرج إليه قال له: سامحني فما عرفتك وقد وجدتُ صرَّتي في البيت فما أنت بسارق أنت الكريم ابن الكريم.. قال خذها بارك الله لك فيها، قال: سامحني، قال ما انصرفتَ من عندي أول مرة إلا وقد سامحتُك وعفوتُ عنك من قبلِ أن تأتي إلي. فرضيَ الله عنه ما أحسنَ أقوالهم وما أجمل حِلمهم.

فليتعلَّم المؤمن أن يقولَ التي هي أحسن فذلك بابٌ لاستقرارِ حياتِه في الدنيا وكثيرِ عظيم أجره في الآخرة. وفقنا الله وثبَّتنا، وسدَّد أقوالَنا، وأصلح أفعالَنا.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم، والحمد لله رب العالمين.

غض البصر

الحمد لله ولي التوفيقِ والهداية، وصلى الله وسلم على نبيه المصطفى محمدٍ وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه وسار بسيره إلى يوم الدين.

أما بعد: فإنَّ من أعظم الأخلاقِ التي تضمَن للمسلم خيراتٍ كثيراتٍ مباركات في دنياه وآخرته خُلقُ غَضِّ البصر .. خُلِقُ غضِّ البصر عند المؤمن عما حرَّم الله النظر إليه، وتلك معاصي العين. إن الذي يهيء عينَه للنظر إلى وجوه الأنبياء والأصفياء في يوم اللقاء وفي دار الكرامة لا يدنِّسها ولا يوسِّخها بالنظر إلى ما حرَّم الله تبارك وتعالى.. ومِن ذلك النظر إلى العورات وإلى بيوت الغير بغير إذنهم والنظر إلى المسلمين بعينِ الاستحقار، فكل ذلك من النظر الحرام.

أثر النظر على قلب ابن آدم:

وهذا النظر المتعلق بهذه العين له عظيم الأثر على قلبِ ابن آدم.. فإنَّ السمعَ والبصرَ كبابين مفتوحين إلى القلب يصلُ إلى القلب كل ما وصل إليهما فيؤثر فيه إما خيرًا وإما شرا، فعلى المؤمن أن يحفظ نظرَه.. فإنَّ نظرًا في القرآن، ونظرًا في وجوه المؤمنين بعَين الرحمة والشفقة، ونظرًا إلى وجهِ الوالدين إكرامًا واحتراماً، ونظرًا إلى المُلك والملكوت للتفكرِ في آيات الله يؤثِّر إيمانًا في القلب.

كما أن نظرًا إلى الأجنبيات، نظرًا إلى الوجوه التي يستحسِنها الطبع بعينِ الشهوة، نظراً إلى المسلمين بعين الاستحقار، نظرًا إلى العورات، نظراً إلى بيوتِ

الغير بغير إذنهم، نظراً إلى زخارفِ الدنيا بعينِ الإعظام والاستحسان لها، يُحدثُ ذلك آثارًا في القلب عظيمة. ربما كانت الواحدة من هذه النظرات سببًا لانقطاع الإنسان عن ربه طول حياته، أو سببًا لوقوعه في مهلكة، لذلك جاءت التأديبات القرآنية الربانية، قال الله لنبيِّه ﷺ ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه:١٣١] وأمَرَه أن يؤدِّب المؤمنين ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠] . وأولُ الغض عن النظرِ إلى الأجنبيات والعورات والمحرمات المثيرات للشهوات، فذلك أمرٌ جاءت به الشريعة مع أنه أولُ مرحلةٍ من النزوع إلى الفعل .. فالنزوع إلى الفعل يأتي بعد مرحلتين:

١- المرحلة الأولى: مرحلة الإدراك.

٢- المرحلة الثانية: مرحلة الوجدان.

٣- المرحلة الثالثة: مرحلة النزوع إلى الفعل.

فأما مرحلة **الإدراك**: بأن يدرك الإنسان أمرَه.

وأما مرحلة الوجدان: بأن تستقر في قلبه الرغبةُ في فعل ذلك الأمر والنزوع إليه.

وأما مرحلة النزوع: فهي التصرف فعلاً في ذلك الأمر، والشريعة جاءت بأحكامها تتعرض للمرحلة الثالثة غالبًا، لكن هذه المسألة دخلت فيها من المرحلة الأولى - مرحلة الإدراك- لصعوبةِ فصلِ بعضها عن بعض.. مرحلة الشهوات

للفواحش تدخَّل الشرع فيها من أول نقطة وهي الإدراك.. قال: يغضوا من أبصارهم.. ففرضَ علينا أن نغضَّ البصر عن النظر، كما نغضُّ القلبَ ونمنعه عن الفكر في الحرام أيضا، فذلك ما سماه النبي زنا العين وزنا القلب كما ورد في الحديث «العين تزني والقلب يزني، فزنا العين النظر وزنا القلب التمني»[1] وقال صلى الله عليه وسلم «**إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا، أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان المنطق**»[2]، أي أن الكلام بالفواحش هو زنا اللسان فيجب حفظُها منه، ثم بعد ذلك يأتي زنا الفاحشة الكبرى.

فلا بد من المراحل الأولى من قطعِ هذه المادة وحسمِها ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ مع أنه مثلاً في أموال الناس يحرمُ علينا أخذُها بغير حق، لكن لا يحرم النظر إليها ولا يعاقَب الإنسان لأنه يرغب أن يكون له مثلُها، أو يود أن كانت له.. لكن إذا امتدت يدُه جاءت مرحلةُ التشريع في الأكف. إلا هذه المسألة قال الله من البداية ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ لأنه يكون مثلَه بعد ذلك كإنسانٍ له بهيمة يُمكِّنها من رؤيةِ طعامٍ لغيره تهواه ثم تقرب وتدنو منه، ثم يريد أن يردَّها فإنه لا يمكنه ذلك إلا بغايةِ الصعوبة.. وإن ذهب يأخذ بها مِن خلفها قطعَها وأتعبَها ولم يصِل إلى غرضه.. ولهذا جاءت الشريعة

---

(١) رواه أحمد عن أبي هريرة.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: زنا الجوارح دون الفرج (الحديث: ٥٨٨٩)، ومسلم في كتاب القدر، باب: قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره (الحديث: ٢٦٧٥).

بالأمر بغض البصر، وحرَّمت علينا النظر، وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ((**النظرة سهمٌ مسموم من سهام إبليس، يقول الله من تركَها من مخافتي أبدلتُه إيماناً يجد حلاوتَه في قلبه**))[1] فالذي يغض بصرَه عن صورةٍ محرمةٍ تعرضُ له يأخذُ الأجرةَ نقدًا سريعًا.. حلاوةً يجدُها في قلبه.. حلاوة إيمان يجدها في قلبه.. فجرِّب ذلك تجد هذه الحلاوة أحسن وأغلى من شهواتِ الدنيا وما فيها، واغنم حلاوةَ الإيمان بهذه الفتن التي، إذا أنت صدَقت فيها وقُمتَ بغضِّ البصر تحوَّلت هذه الفتن إلى نِعَمٍ عليك، فأفاضت عليكَ حلاوة الإيمان، مع أنك إن التفتَّ إليها واستجبتَ لها أوقعتكَ في المهلكة وقادتكَ إلى الأسواء وكانت فتنًا تفتنك في دينك.

ولقد ذكروا رجلاً حضرته الوفاة، فقال القائلون عنده: **لا إله إلا الله** فامتنعَ لسانه أن يقولها، فتكلموا بكلامٍ آخر فتكلم.. وتكرر الأمر كلما عادوا إلى **لا إله إلا الله** سكت.. وبالكلام الآخر تبدو منه الكلمة! حتى صاح بعضهم وقال له: لماذا تتكلم معنا وإذا قلنا **لا إله إلا الله** تسكت!؟ قال: منعتني عنها نظرة حرام.

استولت النظرةُ على قلبه فحالَت بينه وبين الشهادة عند الموت، بينه وبين قول لا إله إلا الله.. لأنه لم يتُب منها ولم ينـزجر عنها. فبقيت هذه في قلبه حتى حصل له ما حصل عند الموت والعياذ بالله.

---

(١) رواه الحاكم وصححه من حديث حذيفة، والطبراني عن ابن مسعود.

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ - أطهر وأطيب - إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ﴾ [النور: ٣٠، ٣١] إلى آخر ما ذكر الله جل جلاله وتعالت عظمته.

فهيئ عينَك للنظر إلى وجه نبيك محمد يوم القيامة بغضِّها عن المحرمات.

اللهم وفقنا وأصلحنا وأصلح أعضاءنا وقلوبنا، وتولّنا بما أنت أهله، واجعلنا ممن سبقَت لهم منك الحسنى .. يا بر يا رحيم ..

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

والحمد لله رب العالمين.

أداء الأمانة

الحمد لله، اللهم صلِّ وسلم على من به هديتَنا لأقومِ سبيل، وعلى آله وصحبه وتابعيهم إلى يوم الرجوع إليك يا ملكُ يا جليل.

أما بعد: فإنَّ من أعظمِ أخلاقِ الإسلام أداءُ الأمانة لمن ائتمَنك، قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((**المؤمنِ من أمِنَه الناس على دمائهم وأموالهم**))[1]، وإن أداء الأمانة على وجهها حريٌّ بالمؤمن أن يأتمنه الله تعالى على أسرار شريعته وحلاوة القرب منه جل في علاه، وأن يوصلَه إلى مراتب الأمن في نفسه فيؤمنه شر الماكرين والمُخادعين والخائنين، فيُكفى شرُّهم لأنه كفى الناس شرَّ الخيانة من عنده فلم يخنهم.. كفاهم شرَّ الحيلة والمكر والخديعة فكفاه اللهُ مكرَهم وحيلَهم وخدائعَهم.. وإنما الجزاء من جنس العمل.

يقول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: ((**أدِّ الأمانةَ إلى من ائتمنَك ولا تخُن من خانَك**))[2] وإن خانك الخائنون فإنَّ الله سيجعل لك مخرجًا ويعوِّضك خيرا.. فلا تقابل الخيانةَ بخيانه، فإنَّ كلَّ إناءٍ بالذي فيه ينضح..كل إناء ينضح بما فيه،

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الإيمان، باب ما جاء في أن المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده (الحديث: ٢٦٢٧) وقال حديث حسن صحيح، والنسائي وابن ماجه.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الإجارة، باب: في الرجل يأخذ حقه من تحت يده (الحديث: ٣٥٣١) والترمذي في كتاب البيوع (الحديث: ١٢٨٢) عن أبي هريرة وقال حديث حسن غريب، والدارمي في مسنده، والدار قطني، والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم.

فمهما كان إناؤك صافيًا وما فيه خير فلا ينضح ولا يرشح منك إلا الخير لهؤلاء الناس فدَع الأسواءَ، ودع الجرائمَ، ودع الخيانةَ تأتي من غيرك.. تأتي ممن تكدَّر قلبُه وإناؤه، وفاضَ بالشر فيفيض منه الشر ويرشح منه الشر.

سعة معنى الأمانة وعظيم حقها:

أحسِن أداءَ الأمانةِ إلى من ائتمنك. واعلم معنى سعةِ الأمانة وعظيم حقِّها فيما قلَّ وما كثُر وما صغُر وما كبُر، قال صلى الله عليه وسلم لسيدنا معاذ: «**يا معاذ إن العبد ليُسال يوم القيامة عن كل شيء حتى عن كحل عينيه وعن فتات الطين بإصبعيه**»[1] ولقد جاء أن ممن أحيا سيدنا عيسى بن مريم من الموتى كما جعله الله آيةً من آياتِ رسالتِه ﴿وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران:٤٩] أحيا ميتًا فقام من القبر وقد كان له سبعون سنة من حين أن مات فلما انشق القبر ورجعت الروح إلى جسده وقام فقال: أقامت القيامة؟ قالوا: لم تقم بعد ولكن هذا روح الله عيسى بن مريم سأل اللهَ أن يحييك. قال: يا روحَ الله لم سألت إحيائي!؟ قال: متى مُت؟ قال قبل سبعين سنة، قال فما الخبر عندك؟ قال: يا نبي الله: أعمالي غالبها صالحة وقد سامحني الله إلا خصلة واحدة، قال ما هي؟ قال كنت حمَّالًا فحملت حطبًا لبعض الناس في يومٍ من الأيام فلما وصلتُ بالحطب إلى بيته حضرني شيء بين أسناني فأخذت من حطبهِ مِنخاذًا جعلت أتنخَّذ به من دون إذنه، فحاسبني الله على ذلك

---

(١) رواه ابن حاتم في تفسيره. وروى أبو نعيم في الحلية نحوه.

وقال أدِّ حقَّ الرجل. فحُبست، فلي سبعون سنة أعاتَب على هذا المنخاذ وأنا منتظر الرجل، إن مات فسامحَني فيسامحني الله تعالى لأنه حقٌّ له، ولا يسامحني الله حتى يسامحني صاحبه. فكان ذلك عبرةً لمن سمعوا هذا الخبر فصارت الأمانة حتى في الخلال بين الأسنان، فما أعظم الأمانة في حقوق الخلق فإنَّ الخالقَ عظيمُ المسامحةِ في حقه.. ولكن حقوقَ خلقه يدين لبعضهم من بعض، ويأخذ لبعضهم من بعض، فلهذا ينادي المنادي في القيامة ((**أنا الملك أنا الديان لا ينبغي لأحدٍ من أهل الجنة أن يدخلَ الجنةَ ولأحدٍ مِن أهلِ النار عليه مظلمةٌ حتى أقتصه منه، ولا لأحدٍ من أهلِ النار أن يدخلَ النار ولأحدٍ من أهلِ الجنة عنده مظلمةٌ حتى أقتصه منه، حتى اللطمة**))[1].

فما أعظمَ الأمانة وما أعظم أداء حقِّها، فكن أمينًا في قولك وفعلك ومعاملتك، وأدِّ الحقوق كما يحب الله منك ويرضى الله عنك، ويرفع لك المقدار.

اللهم أمنَّا واجعلنا من المؤتمنين واجعلنا من المؤمنين المطمئنين الذين لا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ..

والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه أحمد بإسناد حسن، والطبراني في الكبير.

الحرص على توقير الكبير ورحمة الصغير

الحمد لله، وصلى الله وسلم على من أرسلَه بالرحمةِ فكان الرحمةَ المهداة، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه.

أما بعد: فإنَّ من أخلاقِ هذا الدينِ العظيم الحرصُ على توقيرِ الكبير ورحمةِ الصغير، فإنَّ بذلك تستقرُّ الحياةُ في مجتمعاتِ أهلِ هذه الملة، كما قد تقدَّم معنا حديث: «**إنَّ من إجلالِ الله إكرامُ ذي الشيبةِ المسلم**» كذلك نعرفُ أن للكبيرِ حقًّا على الصغير بحكمِ السن في الإسلام، وأنه دُعِي الصغارُ لتوقيرِ الكبار واحترامِهم كما دُعِي الكبارُ للرحمةِ بالصغارِ والشفَقةِ والحرصِ عليهم.

لأجلِ ذلك ابتنَت البيوتُ الصالحةُ المنتظمةُ في منهجِ الله تعالى بينَ المسلمين على إقامةِ هذا الخلُق بينهم في بيوتهم، فتجد الإكرامَ والاحترامَ من كل صغيرٍ لمن كان فوقَه، كما تجدُ الرحمةَ والشفقةَ من الكبير للصغير، فيُعوَّد الصغارُ أن لا يتقدَّموا على من هو أسنُّ منهم في المجلس، ولا يمروا في طريقٍ قبلَه ما استطاعوا، وأن يلاحظوا معاني الإكرامِ له عندَ مصافحتِه، وأن يحرصوا على ابتدائِه بالسلام، ولقد كان النبي يسابقُ إلى البدء بالسلامِ من كان أصغر منه[1] ومن كان أكبر منه، هذا من عظَمةِ الخلُقِ، كان يبدأ مَن لقيَه بالسلامِ من صغيرٍ أو كبير، مع أن الأَولى

---

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: التسليم على الصبيان (الحديث: ٥٨٩٣)، ومسلم في كتاب السلام، باب: استحباب السلام على الصبيان (الحديث: ٢١٦٨).

أن يبدأ بالسلامِ الصغيرُ على الكبير، والماشي على القاعد، والراكب على الماشي، والفرد على الجماعة[1]، فهذا من جِهة الأولى والأفضل، وأما مسألةُ التسابقِ فهي مطروحةٌ لكلِّ من أرادَ أن يسابقَ في تلك المكارم.. وكلُّ من كانَ خلُقُه أحسن فهو في الفهم عن الله أمكَن، ومكانُه أرفعُ في القربِ من ربه، وفي مجاورةِ النبي محمد صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.

توقيرُ الكبير ورحمةُ الصغيرِ شعارُ أهلِ الإسلام:

ولقد كان توقيرُ الكبير ورحمةُ الصغير شعاراً لأهلِ الإسلام ولأهلِ الدين في أحوالهم المختلفة، وما تجد بلدةً من بلاد المسلمين دخلَها الإسلام من القرونِ إلا وعندهم عاداتٌ تَمتُّ إلى هذا الخلُق بصلةٍ وثيقة، وإن تغـيَّرت في أزمنتِنا المتأخرة كثيرٌ من عاداتِ الخير واستُبدلَت بتقاليدَ ليست مُتوافقةً مع أصلِ شريعَتنا وهَدينا وديننا، فذلك راجعٌ إلى إهمالنا وإلى تضييعنا القيم التي بُعِثَ بها نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وراجعٌ إلى إهمالنا لهذه الشريعة، وإلى ما حصلَ من الانبهارِ عند كثيرٍ من العقول، والاغترار بتقاليدَ وعاداتِ بعضِ الكفار أو الفجار.

طهَّر الله قلوبَنا من تعظيمِ من لا يحب سبحانه وتعالى ولا يوالي حتى نحبَّ بحبِّه الناس، ونعادِي بعداوتهِ من خالفَه من خلقه، وينتشرَ فينا هذا الخلقُ الكريمُ

(١) رواه البخاري في كتاب الاستئذان، باب: يسلم الراكب على الماشي (الحديث: ٥٨٧٨) ومسلم في كتاب السلام، باب: يسلم الراكب على الماشي (الحديث: ٢١٦٠).

الذي بلغ مبلَغه عند بعضِ الصالحين حتى كان لا يرضى أن يعلوَ إلى منزلٍ وأخوه الأكبرُ دون هذا المنزل، وكان إذا مشى معه في الطريقِ فكأنهما الإمام والمأموم، هذه مظاهر من تأثيرِ الخلقِ الإسلامي على المسلمين عند كثيرٍ من الصالحين.

فينبغي أن يلتفتَ النظر إلى القيمِ التي بُعث بها خيرُ البشر صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إلينا فنُوجدها في واقِعنا، وفي واقعِ حياتنا، ونتحلَّى بها ما استطعنا، فذلك مما يقوِّي لنا صلتَنا بالدين، ويقوِّي أيضًا في مجتمعاتِنا سِمةَ الإيمان وسمةَ الإسلام وطابعَ الدين الذي بُعثَ به النبي المصطفى صلىٰ الله وسلم وبارك عليه وعلى آله.. وفي هذا يقول في الحديث عليه الصلاة والسلام: ((**مَن لم يوقِّر كبيرَنا، ويرحم صغيرَنا، ويعرف لعالمنا حقَّه فليس منا**))[1]، هذَّب الأمةَ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم وقال ليس منا مَن ضيَّع هذا الخُلق ولم يبالِ به فجديرٌ وحريٌّ أن نهتمَّ به وأن نتربى عليه.

اللهم ابسط لنا مائدةَ التخَلُّق بأحسنِ الأخلاق، وادفع عنا الآفاتِ يا خلاَّق، واسلك بنا مسالكَ من ترضى، والطف بنا فيما يجري به القضاء، واجعل سمةَ دينِك بارزةً في مجتمعاتنا وأحوالنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

وصلى الله على سيدنا محمدٍ وآله وصحبهِ والتابعين.. والحمد لله رب العالمين.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة الصبيان (الحديث: ١٩٨٤) عن أنس بن مالك وقال: حديث حسن صحيح.

الأخوة في الله

الحمد لله الذي بعثَ نبيَّه المصطفى المنيبَ الأوَّاه، بالأخوةِ فيه تعالى في عُلاه، وبدَّل البغضاءَ والشِّقاقَ ألفةً ورحمة، فصلى اللهُ على المصطفى محمدٍ وعلى آله وأصحابه وتابعيهم بإحسان، إلى يومِ وَضعِ الميزان.

أما بعد: فإنَّ مِن أعظمِ أخلاقِ الإسلام الأخوَّةُ في الله.. الأخوة في الله تعالى والحرصُ عليها ميدانٌ واسعٌ لاستمطارِ رحمةِ الله وارتقاءِ الدَّرجاتِ العُلى.

الأخوَّة في الله تبارك وتعالى مُعجِّلةٌ لعجائبَ من النعيمِ في الدنيا قبلَ الآخرة، المتحابُّون في الله على منابرَ من نور يومَ القيامة يغبطُهم النبيُّون والشهداء. قال تعالى: ﴿ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا ﴾ [آل عمران:١٠٣] أصبحنا بِنعمةِ الله.. ومظهرِ نعمةِ الله سيدِنا محمدٍ وبعثَتِه، أصبحنا به إخوانًا بعدَ أن كنَّا أعداءَ مُتباعِدين.

الأخوة في الله قسمان:

الأخوةُ في الله عامة وخاصة.. أما العامَّة فهي ثابتة لكلِّ مَن آمنَ وأسلم، قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ ﴾ [الحجرات:١٠]

أما الخاصة فهي التي تكون بعقدٍ وجَزمٍ بينَ مُتَآخَين في الله ومُتحابَّين في الله تعالى على وجهِ الخصوص، لها حقوقٌ أعظم كما كانَ ذلك بينَ الصحابةِ المهاجرين والأنصار، حيث آخى بينهم النبيُّ المصطفى محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

وسلم، فآخَى بينَ كلِّ مُهاجري وأنـصاري أخـوَّةً خاصـة مـع أنَّ الجميـعَ إخـوةٌ، ولكن بالأخوةِ الخاصة هذه تحيا معـانٍ للتَّنـاصر والتَّعاضُـد عـلى ديـنِ الله تعـالى، ولصفاءِ المودَّةِ وذَوقِ سَلسَبيلها، وذلك أنه مما فَطرَ اللهُ عليه النفسَ الإنسانية أنَّ لها راحةً بِمودَّةٍ وأخوَّةٍ يطيبُ لها بها العيش، وتنشطُ لها بها القُوى، وتقوَى بها العزيمةُ وتنهضُ بها الهمة.

وسُمِّي الإنسانُ إنساناً لأنه يأنسُ بغـيره، لكـنَّ الأنـسَ بـالغير إن قـامَ عـلى أساس الأخوةِ في الله، والمحبةِ في الله تعالى تحوَّل إلى عبادةٍ وطاعة، يثبتُ لأصحابها الأجرُ والمكانُ الكبيرُ عند الله تبارك وتعالى، وترتفعُ لهـم بهـا الـدرجاتُ، فتكـون الأخوةُ في الله سبباً للاجتماعِ في يومٍ يتعادى فيه الذين تحابُّوا لغيرِ الله، قـال تعـالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧] فتخرج أخـوَّتهم من العداوةِ إلى الشفاعةِ والقربِ والمحبةِ، وأن تُبسطَ لهم كراسي ومنابرُ من النـور واللؤلؤ يجلسونَ عليها فيجتمعونَ عليها كما اجتمعوا عـلى المحبـةِ في الله في الـدنيا وفي الحديث الصحيح «**ليبعثنَّ الله أقوامًا على منابرِ اللؤلـؤ عـلى وجـوهِهم النـور يغبطُهم النبيون والشهداء ليسوا بأنبياءَ ولا شهداء**، فجثا أعرابي على ركبتيـهِ قـال صِفهُم لنا يا رسولَ الله، حَلِّهم لنا نعرفهم، قال: **هم المتحابون في الله من بلادٍ شتى وقبائلَ شتى يجتمعونَ على ذكرِ الله فيذكرونه**»[1] وقال صلى الله عليه وآله وسـلم:

---

(١) رواه الطبراني عن أبي الدرداء بإسناد حسن.

((ما تحابَّ اثنان في الله إلا كانَ أحبُّهما إلى الله أشدَّهما حبًّا لصاحبه))[1] وقال صلى الله عليه وسلم ((مَن أحدثَ أخًا له في الله، أحدثَ اللهُ له درجةً في الجنة))[2]

الأخوة بين المهاجرين والأنصار:

لَمَّا تآخى المهاجرونَ والأنصار رأى الأنصارُ أنَّ من حقِّ هذه الأخوةِ الخاصة أن يشاطِرُوهم في أموالهم وفي أنفسِهم وفيما عندهم، فكانوا في ذلك المثلَ الأعلى كما نسمعُ في قصصِ السيرة، وقال سيدُنا علي للنبي آخيتَ بينَ المهاجرين والأنصارِ ولم تؤاخِ بيني وبينَ أحد، فقال له رسولُ الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أنت أخِي في الدنيا والآخرة))[3]. ثبتَت الأُخوَّة في الله عزَّ وجل ولم يَزل يحرصُ عليها المؤمنون أي هذه الأخوة الخاصة.

جعلنا الله من المتآخِين في الله، ومن المتحابِّين في الله، وأحيا الأخوَّةَ في بلدانِنا ومُدننا وقُرانا، وجعلَنا من الذين يستمعونَ القولَ فيتَّبعون أحسنَه، اللهم خلِّقنا بأخلاقِ الهدى، واجعلنا مِمن بِنبيِّك اقتدى، وأصلح لنا الشأن ظاهرًا وباطنًا.

وصلى الله وسلم على المصطفى محمد الأمين وآله وصحبه والتابعين والحمد لله رب العالمين.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد وابن حبان في صحيحه (الحديث: ٥٦٦) والبيهقي في شعب الإيمان (الحديث: ٩٠٤٩) والحاكم في المستدرك (الحديث: ٧٣٢٣) وقال صحيح الإسناد.

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا والديلمي، والسيوطي في الجامع الصغير وقال: حديث ضعيف .

(٣) رواه الترمذي في أبواب المناقب (الحديث: ٣٨٠٤) عن ابن عمر وقال: حديث حسن غريب.

خلق الذكر

الحمدُ لله الذي يذكرُ مَن ذكرَه، ويشكرُ من شكرَه، وهو اللطيفُ الرؤوفُ الرحيم، أشهدُ أنه الله الذي لا إله إلا هو وحده لا شريك له، وأشهد أن سيدَنا محمداً عبدُه ورسولُه، سيدُ الذاكرين، وإمامُ الصابرين.. اللهم أدِم صلواتِك في كلِّ نَفَسٍ على عبدِك وحبيبك الأمين، سيدِنا محمدٍ وعلى آلهِ الطاهرين، وأصحابه الغرِّ الميامين، وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، وعلينا معهم وفيهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

أما بعد: فقد سبقَ الحديثُ عن الأخوَّة في الله، والمحبةِ في الله تعالى في علاه، ولقد جاء تعليمٌ مِن المصطفى صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم لمعاذِ بن جبل، حيث علَّمه دعاءً يدعو به بعدَ أن ذكرَ خصلةَ المحبةِ في الله فقال له «**يا معاذ إني أحبُّك، فلا تدعنَّ أن تقولَ في دُبُرِ كلِّ صلاة، اللهم أعنِّي على ذكرِك وشكرِك وحُسنِ عبادتِك**»[1] فلنأخذ ثلاثةَ أخلاقٍ من أخلاقِ المسلم في حديثِ المحبة هذا.. بعدَ أن تكلَّمنا على المحبةِ في الله تعالى في علاه.

الخُلق الأول خُلق الذكر، والخلق الثاني خلق الشكر، والخلق الثالث خُلق الإحسان.. اللهم أعنِّي على ذكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتك.. وهي دعوةٌ عظيمةٌ

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستغفار (الحديث: ٥٠٢) بإسناد صحيح.

جامعةٌ صدرَت من لسانِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم علَّمها سيدنا معاذًا الذي أرسلَه إلى اليمن مُعلِّما وقال عنه «أعلمكُم بالحلالِ والحرام معاذ»[1] بعد أن شهِدَ له بالمحبة، ويا لها من شهادة «يا معاذ إني أحبُّك فلا تدعنَّ أن تقولَ في دُبرِ كلِّ صلاةٍ -أي بعدَ كل صلاة- اللهم اعنِّي على ذكرِك وشكرِك وحُسنِ عبادتك» طلبَ المعونةَ على ثلاثِ خصالٍ لعَظَمتها ولِعُلوِّ قدرِها وشأنها، طلبَ الإعانةَ على الذكر، فالذكرُ خلقٌ منْ أخلاقِ المسلمِ يتَّصفُ به المسلمُ ويحرصُ عليه ويكون له مظهرًا من مظاهرِ حياته، يذكرُ اللهَ تعالى قائمًا وقاعدًا وعلى جَنبه، يقول الجبار سبحانه: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران:١٩٠،١٩١] الذكرُ لله تبارك وتعالى وصفُ المصطفى كما قالت السيدة عائشة أم المؤمنين: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يذكرُ اللهَ على كل أحيانه[2] وجاءنا القرآنُ بالأمرِ بالإكثارِ من الذكر، ونلاحظُ لفظَ الأمرِ بالإكثارِ من الذكر دونَ غيرِه من الأوامرِ التي جاءت في القرآن.. قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا

---

(١) رواه الترمذي في أبواب المناقب، باب مناقب معاذ بن جبل (الحديث: ٣٨٧٩) وقال: حديث غريب.

(٢) رواه البخاري في كتاب الأذان، باب هل يتبع المؤذن فاه ههنا ههنا. ومسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله في حال الجنابة وغيرها (الحديث: ٣٧٣).

كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ [الأحزاب:٤١-٤٣] إشارةً إلى أنَّ ذكرَه وتسبيحَه تعالى يُخرجُنا به من الظلماتِ إلى النور، ويجعلَنا به مذكورينَ لديهِ سبحانه وتعالى، كما قال جل جلاله: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥١،١٥٢] وعدَنا أن يذكرَنا إذا ذكَرناه تعالى في علاه.

وما أعظمَ أن يذكرَك ربُّك بالرحمةِ يا هذا الإنسان، ويا هذا العبد الضعيف، إذا ذكركَ اللطيفُ بالرحمة.. وهو يذكرُ بالرحمةِ كلَّ من ذكرَه من المؤمنين غير مُتجاهرٍ بِعصيانِه ومُصرٍّ على مخالفتِه باقتحامِ الكبائر، فقد أوحى الله إلى سيدنا داود: قل للظالمين لا يذكروني فإنهم إن ذكروني قد آليتُ أن أذكرَ من ذكرني فإن ذكروني- أي معرضين عني ومستهزئين بي ومصرِّين على معصيتي- ذكرتهم باللعنة[1].. لكنه تعالى يذكرُ المؤمنَ المقبلَ عليه النادمَ على ما كانَ منه ولو كانَ عاصيًا يذكرُه بالرحمةِ سبحانه وتعالى، ويرحمُه ويقرِّبه إليه زلفى.

الذكر سِمةُ المؤمن:

فليكُنِ الذكرُ لله سمةً من سماةِ المؤمن في حياته، ومظهرًا من مظاهره.. فهو خلقٌ من أعظمِ الأخلاق يتنمَّى به الإيمان.. ويُذكَرُ به العبدُ والإنسانُ عندَ مولاه

(١) رواه ابن عساكر والحاكم والبيهقي في شعب الإيمان والسيوطي وقال: حديث ضعيف.

الرحمن جل جلاله.. وقد جاءنا في الحديثِ الصحيح عن نبينا محمدٍ صاحبِ القولِ المليح أنه قال: **قال الله تعالى «من ذكرني في نفسِه ذكرتُه في نفسي، ومن ذكرني في ملإٍ ذكرته في ملإٍ خيرٍ من ملائه»**(١) ومن ذكرني في ملإٍ ذكرتُه في ملإٍ خيرٍ منهم وأطيب.. فهكذا وعدَ الله أن يذكرَ من ذكرَه فله الحمدُ وله المنة.

فليكن الذكر لله دَيدنُك أيها المؤمن، وقد جاءنا في الحديث الصحيح أنَّ بعضَ الصحابة سألَ النبيَّ محمدًا عليه الصلاة والسلام فقال: إنَّ شرائعَ الإسلامِ قد كَثُرَت عليَّ فَمُرني بعملٍ أتشبَّث به، قال: **«لا يزالُ لسانُك رطبًا مِن ذكر الله »**(٢) وجاء في الحديث **« ألا أدلُّكم على أفضلِ أعمالكم وأزكاها عندَ مليكِكم وأرفعِها في درجاتِكم، وخيرٍ لكم من إنفاقِ الذهب والورِق، وخيرٍ لكم مِن أن تلقَوا عدوَّكم فتضربوا أعناقَهم و يضربوا أعناقَكم؟** قالوا: بلى يا رسولَ الله، قال: ذكر الله »(٣) وقال صلى الله عليه وسلم **« ما عملَ آدمي عملاً أنجى له من عذابِ الله من ذكرِ الله»**(٤) فأنجى الأعمال مِن عذابِ الله ذكرُ الله تبارك وتعالى، لذا قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى ويحذركم الله نفسه (الحديث: ٦٩٧٠).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الدعوات، باب: ما جاء في فضل الذكر (الحديث: ٣٤٣٥) وقال حديث حسن غريب، وابن ماجه في كتاب الأدب، باب: فضل الذكر (الحديث: ٣٧٩٢).

(٣) رواه الترمذي في أبواب الدعوات عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم (الحديث: ٣٤٣٧) والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٤) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف والطبراني من حديث معاذ بإسناد حسن.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:١٣٥].

قال تعالى بعد أن وصفَ عبادَه الصالحين والأخيار بقوله ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ حتى قال جل شأنه: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥]، ويقول الله سبحانه وتعالى لحُجّاج بيته ﴿فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:١٩٨-٢٠٠] ويقول جل شأنه ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ - أي صلاة الجمعة- فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

ولقد كان يُعَد للنبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في المجلسِ الواحد مائة من الذكر، مائة من طلبِ الرحمةِ والمغفرة، يُعَد له في المجلس الواحد مائة من قوله: ((رب اغفر لي وتُب علي إنك أنت الغفور الرحيم))[1] يطلبُ المغفرةَ حبيبُ

(١) رواه الترمذي في أبواب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (الحديث: ٣٤٩٥) وقال: حديث حسن صحيح غريب ، وأبو داود في كتاب الطهارة، باب: في الاستغفار (الحديث: ١٥١٦) وابن ماجه في كتاب الأدب، باب الاستغفار (الحديث: ٣٨١٤) عن ابن عمر.

الرحمن، ويطلبُ التوبةَ ونحن أحقُّ أن نطلبَها مِن الله.. نحن أحوج لذلك.. فينبغي أن يكونَ لنا نصيبٌ منْ ذِكرِ الله تبارك وتعالى.. وفي الحديث ((**اذكروا الله حتى يقولوا مجنون**))[1]، ((**واذكروا الله حتى يقول المنافقون إنكم مُراؤون**))[2].

ولقد وردَ في الحديث أن سيدَنا ذا البِجادَين عليه رضوان الله.. ومعنى البِجادين: ثوبَين خَلِقَين لأنه قَدِمَ المدينةَ بثوبين خَلِقَين وذلك أن قومَه كانوا يمنَعونه من الهجرةِ إلى رسولِ الله، إذ كانوا مشركين حتى تخلَّص يومًا منهم فلقيَه في الطريق بعضُهم، فقالوا لا ندعُكَ تمضي، قال وما ينفعُكم بقائي عندَكم!؟ دعوني أذهبُ إلى محمدٍ ولكُم أموالي، قالوا تُعطينا أموالَك كلَّها، قال نعم، قالوا فاذهب إذ لا حاجةَ لنا بك، فأعطاهم مالَه فأخذوا كلَّ شيء حتى ما بيده فلم يُبقُوا له إلا ثوبَين خَلِقَين هما البِجادان، وصلَ بهما إلى المدينة فاشتهرَ عند الصحابةِ بذي البجادين، كان كثيرَ الولَعِ بذكرِ الله تبارك وتعالى، حتى مرَّ النبي تحتَ المسجدِ يومًا مِن الأيام فإذا بصوتِ الذكرِ وسَطَ المسجد، فقالَ بعضُ الصحابة: لعلَّ أن يكونَ هذا مرائيًا يا رسولَ الله، قال: ((**لا ولكنَّه أوَّاه**))[3].

---

(١) رواه ابن حبان في صحيحه في باب الأذكار (الحديث: ٨١٧) والحاكم في المستدرك كتاب الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر (الحديث: ١٨٣٨) وصححه، وأحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري، والبيهقي في شعب الإيمان (الحديث:٥٢٦).

(٢) أخرجه الطبراني عن ابن عباس، وفيه الحسن بن أبي جعفر وهو ضعيف.

(٣) رواه أحمد عن عقبة بن عامر والطبراني وإسنادهما صحيح، والبيهقي في شعب الإيمان.

ثم إنه خرجَ في غزوةِ تبوك مع النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رجوعِهم من غزوة تبوك ماتَ ذو البِجادَين في الطريق، فحفرَ له القبرَ كبارُ الصحابة عليهم رضوان الله فلمَّا وصلوا إلى أرضِ القبر.. خرجَ النبي فسوَّاه بيده الشريفة، ثم صلى عليه وقال ناولوني صاحبكم فناوَلوه إياه، فألحَدَه في قبره ثم قال «**اللهم إني أمسيت عنه راضٍ فارضَ عنه**»[1] ذلك الذي ظهَرت فيه سِمَة الذكرِ لله تبارك وتعالى، وغلبَت عليه، ولم يزَل لسانُه رطبًا من ذكرِ الله.

نصيب المؤمن من الذكر:

يـجبُ على المؤمنِ أن يكونَ له نصيبٌ من الذكر، وأَولى الذكرِ تلاوةُ كتابِ الله، فلا ينبغي أن يُهملَه، وتمرُّ عليه الأيامُ لا يتدبَّر شيئًا من كلامِ ربه جل جلاله ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠].

ثم ليأخذ نصيبًا من ذكرِ الصباح والمساء مما وردَ عن النبي محمدٍ عندَ دخولِ البيت، وعند الخروج من البيت، تخرج من البيت فتقول: بسم الله آمنتُ بالله توكلتُ على الله، ولا حولَ ولا قوةَ إلا بالله، فيناديك ملَكٌ هُديتَ وكُفيتَ ووُقيت وتنحَّى عنك الشيطان[2]، بهذا الذكر اليسيرِ، وماذا يمنعك منه عندَ دخولِ البيت؟

---

(١) رواه البزار.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته (الحديث: ٥٠٩٥) والترمذي في كتاب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته (الحديث: ١٩٣٤) وقال: حديث حسن صحيح.

لأجلِ ذلك أمرَنا أن لا ندخلَ البيتَ إلا باسم الله فتمتنع الشياطينُ من دخولِ بيوتِنا[1].

ولا نتناول الطعامَ إلا باسم الله[2].. ويأكل أحدُنا الأكلَ فيحمدَ الله ويقول: «الحمدُ لله الذي أطعمَني هذا ورزقنيه مِن غير حولٍ منّي ولا قوة، فيُغفَر له ما تقدم من ذنبِه»[3]، أكلَ وذكرَ فحازَ مغفرةً من الله تبارك وتعالى، ما أعظمَ هذه الشريعة!

تأوي إلى فراشِك للنَّوم فتقول «أستغفرُ اللهَ العظيمَ الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه (ثلاثا) فتُغفَر لك ذنوبُك وإن كانت مثلَ زبدِ البحر»[4]كما جاء في الحديث، وهكذا تُسبِّح اللهَ ثلاثا وثلاثين دُبُر كلِّ صلاة، وتحمدُه ثلاثًا وثلاثين، وتكبِّره ثلاثًا وثلاثين، وتقول تمامَ المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير فتُغفر لك ذنوبُك وإن كانت مثلَ زبدِ البحر[5]،

---

(١) رواه مسلم في كتاب الأشربة، باب الطعام والشراب ونحوهما (الحديث: ٢٠١٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الأطعمة، باب: التسمية على الطعام (الحديث: ٥٠٦١)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب: آداب الطعام والشراب (الحديث: ٢٠٢٢)

(٣) رواه أبو داود في كتاب اللباس، باب ما جاء في اللباس (الحديث: ٤٠٢٣) والترمذي في أبواب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما يقول إذا فرغ من الطعام (الحديث: ٣٥٢٣) وقال حديث حسن.

(٤) رواه الترمذي في أبواب الدعوات (الحديث: ٣٤٥٧) وقال:حديث حسن غريب .

(٥) رواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب الذكر عقب الصلاة (الحديث: ٥٩٧).

تُسبِّح هذا التسبيح عند النوم، إلا أنَّ التكبيرَ أربعًا وثلاثين فيكونُ أعونَ لك في القيامِ بالأعمالِ من خادمٍ يساعدك ويقومُ معك [1].

أصل الذكر:

فما أعظمَ الذكر وما أحوجَ المؤمن لأن يتَّصلَ بذكرِ الله تعالى، وأصلُ الذكرِ استحضارُ عظَمَة المذكورِ جل جلاله في القلب، وتعظيمُه والرغبةُ في القربِ من حضرتِه العليَّة، فأصلُ الذكرِ ما كانَ في القلب، ويبرزُ منه على اللسانِ ما يبرُز .. فأفضلُ الذكرِ ما اقترنَ بذكرِ اللسانِ مع ذكرِ القلب، وذلك يكونُ أسرعَ في تنقيةِ القلبِ والضمير، وأقربَ لمغفرَةِ الذنوبِ والأوزَار، وأحسنَ لتحصيلِ الخير.

جعلنا الله من الذاكرين المذكورين ، ورزقنا سرَّ الذكر ونورَه وبركتَه،إنه أكرمُ الأكرمينَ وأرحمُ الراحمين.

وصلى الله على سيدِنا محمدٍ النبي الأمي وآله وصحبِه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين، والحمدُ لله ربِّ العالمين .

---

(١) أخرجه أحمد عن علي بن أبي طالب، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب التسبيح أول النهار وعند النوم (الحديث: ٢٧٢٨)، وأبو داود في كتاب الخراج والفيء والإمارة . باب في بيان مواضع قسم الخمس وسهم ذي القربى (الحديث: ٢٩٨٨).

خلق الشكر

الحمدُ لله، والصلاةُ والسلامُ على سيدِنا رسولِ الله، سيدِنا محمدِ بـن عبـدِ الله وآلهِ وأصحابه ومَن والاه .

وبعد: فإنَّ شُكرَ الحقِّ جل جلاله فرضٌ لازمٌ على كـلِّ مـسلم.. والاتِّـصافِ بحقيقةِ الشكرِ رتبةٌ ساميةٌ عندَ المؤمن، وخلقٌ عظيمٌ من أخلاقه.. أشارَ الله إلى قلَّةِ من يتحقَّق به مِن الخلق فقال ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ:١٣] .

ووعدَ تعالى المزيدَ على الشكر، وقـال: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾ [إبراهيم:٧]

حقيقة الشكر:

إنَّ الشكرَ عبارة عن امتلاءِ القلبِ بشهودِ عظمةِ المنعم، وعظيمِ نعمتِه ومنَّتِه على عبدِه، شهودًا تنطلقُ به الجوارحُ في طاعاته، فهو أن يصرفَ العبدُ مـا أنعـمَ اللهُ به عليه فيما خُلِقَ من أجله، مع استشعارِ منَّةِ الله عليه وإحسانِ الله إليه، وعظمةِ ما يصلُ إليه من جودِ بارئه جل جلاله وتعالى في علاه، يستحقُّ بذلك المزيد.

فلابدَّ أن يُشعِرَ العبدُ قلبَه أنه مُنعَمٌ عليـه بِـنعَمٍ لا تُعَـد ولا تُحـصى مِـن قِبَـلِ بارئه، قال تعالى ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ﴾ [النحل:١٨] وقال تبـارك وتعـالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾ [لقمان:٢٠].

إنَّ النعمَ محيطةٌ بكلِّ إنسان، ولكن أعلى النعَم نعمةُ الإسلام والإيمان، فإذا أكرمكَ الله بها فاحمده واشكره.. وشُكره أن تُطبِّقَ شرائعَ الإسلامِ في نفسِك وحياتِك، فبذلك تعلُو منزلتُك، ويزيدك اللهُ إيمانًا ويزيدُك معرفةً، ويزيدُك قربًا، ويزيدُك طمأنينةً، ويزيدك سعادةً في الدارين.

استشعار نعمةِ الله على العبد:

الشكرُ للحقِّ تبارك وتعالى سببُ المزيد لنعمائِه وإفضاله وجميلِ إسدائه، ولا ينفكُّ عبدٌ من العبادِ المسلمين خاصة في كلِّ لحظةٍ من اللحظات عن ملايينَ مِن نِعَمِ المنعمِ جلَّ جلاله.. في بصَره وفي سمعِه وفي أعضائه وفي أجهزته وفي حركاتِه وفي سكناته وفي عقله وفي ظاهره وفي باطنه.. وهذه الملايين من الخلايا العاملة في جسمِ الإنسان تشتغلُ كلُّها وتؤدِّي مُهمَّاتها.. كل خليةٍ فيها كذا كذا من النِّعم، فسبحانَ المنعمُ العظيم جل جلاله وتعالى في علاه.

يجب أن تستشعرَ نعمةَ الله عليك.. ولقد جعلكَ من خيرِ أمةٍ أخرجت للناس، فاشكرِ اللهَ تبارك وتعالى وانصِب قدمَيك في محرابِ الشكر للمولى جل جلاله بأداءِ حقِّ النعمة.

اصرِف البصرَ فيما خُلِق لأجلِه، اصرفِ السمعَ لاستماعِ ما خُلِقَ لأجلِه. لا تستمِع إلى حديثِ قومٍ وهم لكَ كارهون لسماعِك حديثِهم، فإنَّ ذلك سببٌ لأن

يُصَبَّ الآنك في الأذن يوم القيامة، والآنك هو الرصاص المذاب بالنار، يُصبُّ في أذنِ الذي يستمعُ إلى حديث قومٍ وهم له كارهون»[1].

لا تستمع إلا إلى حديثٍ يقربُك إلى الله، وينفعُكَ في دينِك أو دنياك، اصرفِ اللسانَ لما خُلِقَ من أجله.. خُلقَ للذكر، خُلِقَ للتلاوة، خُلقَ للنفع، خُلِقَ للاستعانة به على مصالحِ الدين والدنيا، فلا تصرِفه إلى ما حرَّم الله تبارك وتعالى عليك.

وإن أنعمَ عليك بمالٍ فاشكر، والشكرُ أن تأخذَه مِن حلِّه، وتنفقَه في محَلِّه، فذلك شكرُ نعمةِ المال عليك، وكل ما أنعمَ عليكَ بنعمةٍ فَشُكرها أن تصرفَها فيما خُلِقَت لأجله، والشكر قيدُ النِّعم فإذا ذهبَ القيدُ زالت..

ولقد أحسن القائل:

إذا كنتَ في نعمةٍ فارعَها ... فإنَّ المعاصي تزيلُ النعم

وحافظ عليها بشكرِ الإله ... فإنَّ الإلهَ سريعُ النِّقم

فتعلَّق بالشكر، وكُن من الشاكرين.

---

(١) كما ورد في حديث البخاري (ومن استمع إلى حديث قوم وهم له كارهون أو يفرُّون منه، صُبَّ في أذنه الآنك يوم القيامة) في كتاب التعبير، باب من كذب في حلمه (الحديث: ٦٦٣٥)

النبي سيد الشاكرين:

ضربَ النبيُّ صلى الله عليه وآله وسلم أمثلةَ الشكر، وقال حينما قيلَ له في قيامِه وقد تورَّمت قدماه من القيام بالليل، أتفعلُ هذا يا رسولَ الله وقد غَفرَ الله لك ما تقدَّمَ من ذنبك وما تأخَّر!؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم «**أفلا أكون عبدًا شكورا**»[1].

والعجَبُ أنك بِشُكرِكَ لله تتهيأ لأن يَشكُرَكَ الباريء جل في علاه.. ومَن أنت وما شُكرك عندَ شُكرِ الخالقِ المصورِ الباريء القادر جل جلاله! قال تعالى ﴿وَمَنْ أَرَادَ ٱلْءَاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾ [الإسراء:١٩] وقال تعالى ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨]

اللهم أعنَّا على ذكرِكَ وشكرك وحُسنِ عبادتك، واجعلنا مِن الشاكرين الذاكرين، والمنيبينَ الخاضعِين الخاشعين، برحمتك يا أرحمَ الراحمين.

وصلى اللهُ على سيدِنا محمدٍ إمامِ الشاكرين، وآله وصحبه وتابعيهم بإحسانٍ إلى يومِ الدين.. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

---

(١) رواه البخاري في كتاب التهجد، باب قيام النبي حتى ترمَ قدماه (الحديث: ١٠٧٨) ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب إكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة (الحديث: ٢٠٨٢٠) والنسائي والترمذي وابن ماجه.

خلق الإحسان

الحمدُ لله، وصلى الله وسلَّم على حبيبِه ومصطفاه، سيدِنا محمد بن عبد الله، وعلى آلِه وصحبِه ومن سارَ على سبيلِه واهتدى بهداه، وجعلنا الله منهم بفضلِه إنه أكرم الأكرمينَ وأرحم الراحمين.

أما بعد: فإن مما دعانا إليه هذا الدينُ العظيم وجعلَه من خُلقِ المستقيمين على مَنهجِ النبيِّ القويم.. الإحسانُ في العبادة، والإحسانُ في الأعمال، يقول صلى الله عليه وآله وسلم لمعاذ «**فلا تدعَنَّ أن تقولَ في دبرِ كلِّ صلاةِ اللهم أعنِّي على ذكرِك وشُكرِك وحُسنِ عبادتك**» قال تعالى ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [تبارك:١-٢]

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «**إنَّ اللهَ يحبُّ من أحدِكم إذا عملَ عملاً أن يتقنه**»[1]. ولقد فسَّر النبي الإحسانَ عندما سأله سيدُنا جبريل وقال «**أخبرني عن الإحسان، فقال له الإحسانُ أن تعبدَ اللهَ كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنَّه يراك**»[2] أي أن تستشعرَ إطِّلاعَ الله عليك فتقومُ بعبادته كأنك تراه.

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، باب في الأمانات وما يجب من أدائها إلى أهلها (الحديث: ٥٣١٢) و أبو يعلى عن عائشة، والسيوطي في الجامع الصغير ، وقال حديث ضعيف .

(٢) رواه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي عن الإيمان والإسلام والإحسان (الحديث:٥٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان (الحديث: ٨)

الإحسان في الأعمال:

من واجبِ المؤمن أن يتخلَّقَ بخُلقِ الإحسانِ في كلِّ ما يقومُ بـه مـن أعـمال، فيصلح بذلك عملُه ويصفو ويُقبَل عندَ الله ويتضاعفُ له الثواب، وإنَّ قلـيلاً مـن العملِ الصالحِ بإحسان خيرٌ من كثيرٍ بلا إحسان.

فينبغي للقارئ أن يقرأ اليسيرَ من القرآن وهو مُتدبِّر متفهِّم مُحـسِن للـتلاوة خيرٌ من أن يقرأ بلا تَدبُّرٍ أجزاءَ كثيرةً وأوراقًا كثيرةً من كتابِ الله تبارك وتعالى.

فلذلك ينبغي الاعتناءُ بالإحسانِ من المسلم إذا قام بوضوءٍ أو بعبادةٍ أو بغير ذلك. حتى أشارت إلى مرتبةِ الإحسانِ وذكرت واحدًا من مظاهرها مدحًا للإمام الشافعي السيدةُ نفيسة عليها رضوان الله بمصر ، حيث قالـت وقـد صـلَّت عليـه عند موته: رحمَ الله الإمامَ محمدَ بن إدريس الشافعي إنه كانَ يُحسِن الوضوء.

فانظر إلى فقـهِ تلـك المـرأةِ العارفـة، ومـا وصـفَت ذاك الإمـام إلا بإحـسانِ الوضوءِ، فجعلت ذلك علامةً على تبوُّئه مرتبة الإحسان، فإنَّ مَن أحسنَ الوضوءَ أحسنَ الصلاة، ومن أحسنَ الوضوءَ والصلاةَ أحسنَ الدينَ كلَّه، وأحسنَ العمـلَ كلَّه في حياته؛ فوصفَته بهذا الوصف ولفتت النظرَ إلى أنَّ غيابَ الاهتمامِ بالإحسان في بعضِ الأعمالِ من شأنه أن يجعلَ الإنسانَ في غَيبةٍ عن حقائقِ الإحسانِ في أعمالِه كلِّها.. فالذي لا يُبـالي بالإحـسانِ في الوضـوء لا يُبـالي بعـدَ ذلـك بالإحـسان في الصلاة، ثم لا يبالي بالإحسانِ في زكـاةٍ ولا صـومٍ ولا حـجٍّ ولا صـدقةٍ ولا غـير ذلك.

ثمرة الإحسان:

فالإحسان مطلوبٌ من المؤمنِ وهو يرفعه درجاتٍ لدى ربِّه تبارك وتعالى، ثم يكونُ له جزاءٌ مِنَ الله أن يُحسِنَ الله إليه، قال الله تبارك وتعالى ﴿ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فينبغي أن يُحسِن المؤمنُ في أحواله وشئونِه كلِّها، ويخصَّ عبادةَ ربه باعتناءٍ بإحسانها وأدائِها على وجهها استشعارًا أنَّ الذي يعبدُه يراه وينظر إليه فكأنه هو يراه، فكيف يكون حاله..!

إنك ترى كثيرًا ممن إذا شَعر بمراقبةِ إنسانٍ له في عملٍ أحسنَه وأتقنَه، وإذا كان خاليًا بَعُد عن الإتقان.. ألا يكفيه نظَرُ الرحمنِ إليه؟ فينبغي أن يُطهِّرَ قلبَه مِن مَرضِ مراقبةِ الخلق مع نسيانِ الخالق جل جلاله، ويرتقي رتبةً في الإيمان تجعلُ مراقبتَه للخالقِ أعلى وأجل وأعظم مِن مراقبةِ الخلق والالتفات إليهم.

ولقد سمعَ بعضُ المصلين وكان يصلي إذ أحسَّ بداخلٍ دخلَ فزادَ في إحسانِ الصلاةِ فسمعَ هاتفاً من فوقه يقول له: لولا أنَّ أولَ صلاتِك لله لأُخرِجتَ من ديوانِ السعداءِ إلى الأشقياء، فلأجل ذلك أُمِرنا بالإحسان ومراقبةِ الجبَّار.

وجاء التهديدُ للمصلِّينَ الذين لا يُحسنونَ الصلاة.. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٤-٧]

فهم ضيَّعوا الإحسان بوصفين:

١. وصف السهو عن الصلاةِ ومعناه تأخيرُها عن وقتها .

٢. والوصف الثاني مراءاتُ الخلق بها، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ فبسبب ريائِهم وسهوِهم تحوَّلوا إلى أن يستحِقُّوا الويلَ والعياذ بالله تبارك وتعالى والتهديدِ من الله.

فنسألُ الله أن يرزقَنا الإحسانَ في أعمالنا كلِّها ويُثبِّتنا في المحسنين، اللهم ارفعنا في مراتب الإحسان وقابِلنا منك بالإحسان، واغفر لنا الإساءة وأحسِن إلينا يا مُحسن، وكن لنا بما أنتَ أهلُه في كلِّ شأن يا ربَّ العالمين.

وصلى الله على النبي المصطفى محمد وآله وصحبه والتابعين.

والحمد لله رب العالمين.

صبغة الأخلاق

الحمد لله الملكِ الخلاَّق، وصلى الله وسلَّم على نبيِّه المصطفى عظيمِ الأخلاق، وعلى آله وأصحابه ومن تبعَ سبيلَه واهتدى بهديه إلى يومِ الوقوفِ بين يديكَ يا ربَّ العالمين.

أما بعد: فإنَّ موضوعَ الخُلق عندَ المسلم له مكانةٌ عَلِمناها مِن تلخيصِ البعثة لهذا المقصودِ في قَولِ النبيِّ المصطفى «**إنَّما بعثتُ لأتمِّم مكارمَ الأخلاق**»[1].

وإنَّ أهلَ الاستقبالِ لهذه الرسالةِ المحمدية النبوية التي ختمَ الله بها الرسالات، وأرسلَ بها حبيبَه المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم. المستقبلونَ لهذه الرسالة لابدَّ أن يصطبِغوا بِصبغةِ أخلاقِها، بصبغةِ ما دعَت إليه، بصبغةِ المقصدِ الذي بُعثَ من أجلِه رسولُ الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

ولأجل هذا رأينا العجائبَ مِن تحوُّلِ أحوالِ الناس من شركٍ وكُفرٍ وجاهليةٍ وعَنجَهيَّةٍ واعتداءاتٍ وكِبرٍ وغَطرسَةٍ وظُلمٍ وقَتلٍ للنفوس، إلى كَرَمٍ وشِيَمٍ وفضائلَ وآدابٍ وإحسانٍ وتواضعٍ ورحمةٍ ورأفة، فكانَ الحال كما وصفَ الله تبارك

---

(١) رواه مالك وأحمد والبخاري في الأدب المفرد (الحديث: ٢٧٣) والبيهقي في شعب الإيمان، والحاكم وصححه من حديث أبي هريرة.

وتعالى ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران:١٠٣] قال عن بعثةِ نبيِّه ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤] وبعدَ الضلالِ المبين ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠] جاءوا بالخيرية فعلَّموا الأمم، وهدَوا وأرشدُوا، وكان منهم الأبطال، وساداتُ الرجّال، أربابُ العلومِ والمعارفِ والأعمال، والصُّلحِ والجهادِ والتقوى. فانتشرت بينهم معاني الإصلاح، ومعاني الصَّلاح ومظاهر الفلاح، فتحوَّلوا مِن حالٍ إلى حالٍ ما أعظمه وما أجله وأكرمه، فكانوا بعدَ ذلك قادةَ الأمة وسادتِها وأئمتِها والمعلمون للناس الخير.

نصيبك أيها المؤمن من الخلق الكريم:

فكذلك ينبغي لكَ وقد آمنتَ أنتَ بالله ورسولِه أن يكونَ لك نصيبٌ من معاني هذا الاستقبالِ لعظمةِ هذه الرسالةِ العظيمةِ عن الله تباركَ وتعالى، وتبحثَ عن إيمانك في عملِك وفي فعلِك وفي قولك، وتجد الحقَّ تعالى في القرآن يذكرُ الإيمانَ مُقترنًا بالعمل الصالح في كذا كذا آيةٍ من كتابه، ويذكر عليها بشائرَ منه سبحانه وتعالى، ويَعِد عليها فضلاً وكرمًا فيمن آمنوا وعملوا الصالحات فجاءتهم البشائر في الآيات البينات، حيث ربط الإيمانَ بالعمل.

فبيِّن أنت جانبَ الخلق فيك وترجِم وبرهِن عن معاني استقبالِك للرسالةِ النبوية وأَخذِك لها، فإنما تُميَّز يا أيها المؤمن بخلقِك الكريم، وقد كان الذين يعتنونَ

برتبةِ الإحسان في دينِ الله تبارك وتعالى ويسمَّون على ألسُن كثيرٍ من الناس في القرونِ الماضية بالصوفية، يقول قائلُهم: إنما مَسلكُنا وتصوُّفنا خُلق فمن زادَ عليك في الخُلُق فقد زادَ عليكَ في المَسلك، وزاد عليك في الدرجة. ولا يرجع الأمرُ إلا إلى الخلُق الكريم الذي بُعثَ به النبي العظيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

فتأمل أخلاقَك في المعاملة، وانصَب لكي تكسبَ الخلُقَ المحمود وتنجوَ وتتخلصَ مما يعلق بك من الأسواء والأخلاقِ المذمومةِ المبغوضةِ لربِّك تبارك وتعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم. واطلب الرضوانَ بهذا الخُلق، قال صلى الله عليه وسلم: ((**إنَّ الرجلَ ليبلغ بحُسنِ خلقِه درجةَ الصائمِ القائم**))[1]، يبلغ درجةَ الصائم الذي لا يفطر والقائم الذي لا ينام بِحُسنِ خلُقه، قال صلى الله عليه وسلم: ((**ما منْ شيءٍ يوضَعُ في الميزانِ أثقلُ من حُسنِ الخُلق**))[2].

ولقد رووا عن الحسن عن الحسن عن الحسن عن أبي الحسن عن جدِّ الحسن ((**إن أحسنَ الحسن الخلقُ الحسن**))[3] فهو زينةٌ يزيِّن الله بها من يشاء من عبادِه،

---

(١) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (الحديث: ٤٧٩٠)، وأحمد والطبراني عن عائشة، وإسناده حسن.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب حسن الخلق (الحديث: ٤٧٩١) والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (الحديث: ٢٠٧٠)، والسيوطي وقال: حديث حسن.

(٣) رواه الطبراني وابن عساكر، والحسن الأول هو ابن حسان السمتي، والثاني: ابن دينار، والثالث: البصري.

يقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم «ما حسَّن الله خَلقَ امرئٍ وخُلُقَه فيُطعِمُه النارَ أبدا»[1] إذا حسَّن خلقَه وخُلقَه فلن يُطعمَه النارَ بعد ذلك ولن تمسَّه.

فينبغي أن نعتنيَ بحسنِ الخلق ونتأملَ ما يُتلى علينا أمثال ما مضى في هذه السلسلة التي نرجو الله أن ينفعَ بها المتكلمَ والسامع.. ويوقعَ نورَ هذه الأخلاقِ في قلبِ كلِّ قارئٍ لها، ويفتحَ له بابًا من التوفيق، حتى يتَّصفَ بتلك الأوصاف، ويعتليَ في ذلك المنار، الذي بُعِث به المختار .. اللهمّ حقِّقنا بذلك بمحضِ فضلِك وجودِك وكرمك .. يا أكرمَ الأكرمين .. ويا أرحم الراحمين.

الجزاء من جنس العمل:

اجتهد في تحسينِ أخلاقِك بما استطعتَ وحسِّن معاملتَك للناس، عامِل الخلقَ بالرحمةِ يرحمك، عامِلهم بالشفقةِ يشفق بك، عامِلهم بالرأفةِ يرأف بك سبحانه وتعالى، فإن الجزاءَ من جنسِ العمل.

ولقد حدَّثنا النبي صلى الله عليه وسلم في حديثه الصحيح عن رجلٍ من بني إسرائيل كان صاحبَ تجارةٍ وأموالٍ ولكنَّه كان يقول لوكلائه: أنظِروا المُوسر – يعني الموسر الذي عنده القدرةُ على القضاء وعنده دَينٌ لنا أنظرُوه لا تستعجلوا عليه ولا ترهِقوه حتى يُسلِّم– ، وتجاوَزوا عن المعسر لعلَّ اللهَ أن يتجاوزَ عنا، قال

---

(١) رواه البيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في الأوسط وفيه عبد الله بن سعد البكري وهو ضعيف.

صلى الله عليه وآله وسلم: فلما ماتَ أوقفَه الله بين يديهِ فقالَ له: ما كنتَ تفعل؟ قال: يا رب كنتُ آمر وكلائي وأقولُ لهم: أنظِروا الموسر وتجاوزُوا عن المعسِر لعلَّ الله يتجاوز عنا، فقالَ الله: نحن أولى بالكرمِ منكَ قد تجاوَزنا عنك[1].. فكان التجَاوزُ منَ الله جزاءَ ما كان يتجاوزُ عن خلق الله.

وقد جاءنا في الآثار أن امرأةً من بني إسرائيل كانت قد عَرضَ لها سائلٌ يسأل، وقد بقيَت معها لُقمةٌ واحدة ورفعَتها تريدُ أن تضعَها في فمِها، فردَّتها وأعطَتها ذلك السائل، فأخذَها السائل وهو جائع، فلم تشعر بعد أيام إلا بذئبٍ يأتي ومعها طفلٌ صغيرٌ فيأخذُ الطفلَ ويمشي، فجرَت وراءَ الذئب تقول ابني.. ابني، وإذا بصورةِ رجلٍ يقفُ فيمسكُ الذئبَ ويُخرِجُ الولدَ سالمًا معافى من فمِ الذئبِ ويناولُه إياها ويقول لها: يا هذه إنما أنا مَلَكٌ أرسلني الله تعالى من السماء لأنقذَ ابنكِ هذا، وأسلِّمَه لك، ويقول لك لُقمةٌ بِلُقمة[2] .. أنفقتِ من أجلِ الله لقمةً فردَدنا لك هذه اللقمة مقابلَ تلك اللقمة .. فالجزاء من جنسِ العمل.

فتخلَّق بالأخلاقِ الكريمة، واقرأ كثيراً في شمائلِ نبيك وسيرتِه فذلك يُقوِّي إيمانَك ويقينَك ويفتحُ لك بابَ الإقتداء والاهتداء.

---

(١) رواه الترمذي في أبواب البيوع، باب ما جاء في إنظارِ المعسرِ والرِّفقِ به (الحديث: ١٣٢٢) وقال حديث صحيح.

(٢) رواه السيوطي في الجامع الصغير عن ابن عباس.

اللهم انفعنا بما علَّمتنا، وعلِّمنا ما ينفعُنا، وبارِك لنا في هذه السلسلةِ المباركة، ويسِّر لنا اللقاءاتِ مع إخواننا من أهلِ الإسلامِ والإيمان على مثلِ هذا البساط مراتٍ كثيراتٍ في خيراتٍ وأنت راضٍ عنا ومادٌّ لنا بالتوفيقِ والعنايةِ منك يا وليَّ التوفيق، يا أكرم الأكرمين ويا أرحم الراحمين، كن لنا بما أنتَ أهلُه، واصرف عنا الشرَّ كلَّه، واحمِنا بحمايتك واحرُسنا بحراستك وأصلح شئونَنا وشئونَ بلداننا وبلادِ المسلمين، واجعلنا منَ الهداةِ المهتدين، واختم لنا أعمارَنا بالحسنى وأنتَ راضٍ عنا، وثبِّتنا على ما تحبُّ وترضى منا، وعاملنا بالفضلِ وما أنت له أهل.. برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.

وأدِم صلواتِك على عبدِك المصطفى سيدنا محمدٍ وعلى آله وأصحابِه وأنبيائِك ورُسلِك وملائكتِك المقرَّبين وعبادِك الصالحين أجمعين، وصلِّ علينا معهم وفيهم برحمتِك يا أرحمَ الراحمين.. والحمدُ لله ربِّ العالمين.

فهرس الموضوعات